
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
معركة القمة
٨٣
د. نبيل فاروق
Looloo

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ المصيدة ..

هدأ انهمار الأمطار قليلًا ، بعد أن غادر (أدهم صبرى) و (منى توفيق) مائدة العشاء ، وانتقلا إلى حجرة المكتب الهادئة ، فى منزل (منى) ، وسألت أمها (أدهم) ، وابتسامتها الحانية تملأ شفتيها :

ـ أترغب فى تناول قدح من الشاى ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ لا بأس .

غادرت الأم الحجرة ؛ لتعدّ لهما قدحى الشاى ، فى حين بدت (منى) شديدة التوتر ، وهى تتطلّع عبر نافذة الحجرة ، إلى قطرات المطر ، التى تسيل على الزجاج ، حتى سألها (أدهم) فى هدوء :

ـ كان العشاء جيّدًا .. أليس كذلك ؟

التفتت إليه ، تملأ عينيها بوجهه الوسيم طويلًا ، قبل أن تجيب فى خفوت :

— بلى .

ثم أضافت وشفتاها تختلجان مع اختلاجة قلبها :

— أأنت هنا حقًا ؟

ابتسم قائلًا :

— هل أبدو لك وهمًا ؟

لم تجب ، وإنما راحت تتطلع إليه فى شغف ووجد ..

لم تكن تتصوَّر حقًا أن تراه مرة أخرى ، على قيد الحياة ، بعد أن أيقنت من فقده إلى الأبد فى (المكسيك) ، عندما انفجر به وكر الإرهابى (بانشو سيلازر) ، واستحال رمادًا وهشيمًا(*) ..

لم يتصوَّر مخلوق واحد عودته ، حتى رجال المخابرات المصرية أنفسهم ، الذين راحوا يعدّون الرائد (حسام شاكر) ، ليحلّ محلّ (أدهم صبرى) ، ويحمل لقبًا مشابهًا للقبه تقريبًا ..

لقب (ن ـ ١) ..

ثم ظهر (أدهم) فجأة ، بعد عام وربع العام ..

وكانت مفاجأة عودته من نصيب (منى) ..

(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) .. المغامرة رقم (٨٠) .

وفى منزلها ، راح (أدهم) يروى لها كل ما حدث له ، منذ اختفى فى (المكسيك) ..

لقد نجا من انفجار الوكر بأعجوبة ..

ولكنه فقد الذاكرة ..

فقدها تمامًا ..

ولأن القدر لم يكن قد أعلن لحظة نهاية (رجل المستحيل) بعد ، فقد عثر عليه (برونكوفيلا) ، الممرض المكسيكى الكهل ، وابنته (ماريانا) ، ونقلاه إلى منزلهما فى (كيواوا) المكسيكية ، وعالجاه من جراحه ، ولكنه لم يستعد ذاكرته ، ولم يدرك من هو ، فأطلقا عليه اسم (أميجو) ، وعاش معهما أربعة شهور كاملة ..

ثم اشتعلت النيران ..

جاءت النيران هذه المرة على هيئة رجل يدعى (توماس) ، يعمل لحساب منظمة (سكوربيون) ، ويسعى لشراء مزرعة (برونكو) ..

وتدخل (أدهم) فى الأمر ..

وبدأت معركة بينه وبين (توماس) ورجاله ..

وقضى (توماس) نحبه ..

ولكن المعركة لم تنته ..

لقد بدأت ..

احتلَّ منصب (توماس) رجل ، هو الشيطان بعينه ..

رجل يُدعى (كال) ..

وأعلن (كال) حربًا ضروسًا على (أدهم صبرى) ..

وفجأة انضمَّت (سونيا جراهام) إلى الأحداث ، وهى تحمل اسم (نورما كرينهال) ..

أتت بناءً على محادثة هاتفية من أحد طيارى (كال) ، الذى تعرَّف (أدهم) ..

أتت لتقتل (أدهم) ..

ولكنها لم تفعل ..

لقد وجدت أمامها رجلاً آخر ، فقد ذاكرته ، ولم يعد يدرك من هو ، ولا من كان .

وهنا تفجَّر فى أعماق (سونيا) شعور لم تكن قد تبيَّنته فى قلبها من قبل ..

إنها تحب (أدهم) ..

بل تعشقه ..

كان هذا الشعور مفاجأة لها ، قبل أن يفاجئ الآخرين .

وفى الوقت الذى كان (أدهم) قد وقع فى قبضة (چوزيه) ، مأمور الناحية ، الذى يعمل لحساب (كال) ..

وفى الوقت الذى أعدَّ فيه الجميع خطة محكمة ؛ للتخلُّص من (أدهم صبرى) ، كانت (سونيا جراهام) ، ولأوَّل مرة فى حياتها ، تسعى إلى العكس ..

إلى إنقاذ (أدهم) ..

وبجرأتها المعهودة ، اتجهت (سونيا) مباشرةً لمقابلة (كال) ، والتفاوض معه ؛ من أجل الإبقاء على (أدهم) ، بعد أن تخلَّصت من الطيار ، الذى تعرَّف (أدهم) ..

ولكنها وصلت متأخرة ..

فى نفس الوقت الذى كانت تتفاوض فيه مع (كال) ، كان (چوزيه) قد حمل (أدهم) ، فى سيارة السجن إلى أحراش قريبة ، حيث فتح خمسة عشر رجلاً من رجال (كال) باب سيارة السجن الخلفى ، ورفعوا فوهات مدافعهم الرشاشة فى وجه (أدهم) ، و .....

وارتجَّت المنطقة كلها بدوى الرصاصات ..(*) ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين : الأوَّل والثانى : (الرجل الآخر) و (الأخطبوط) .. المغامرتين رقم (٨١) ، و (٨٢) .

انتفضت (منى) على نحو واضح ، عندما بلغت هذه النقطة ، التى انتهت إليها رواية (أدهم) ، مما جعل هذا الأخير يسألها فى هدوء :

— ماذا حدث ؟

غمغمت :

— لا شىء .

ثم أضافت فى اهتمام شديد :

— حسنًا .. أخبرنى كيف نجوت من هذه المصيدة .

ابتسم قائلًا :

— خمّنى .

هزّت كتفيها ، وقالت :

— لا يمكننى استنتاج هذا ، فالموقف شديد التعقيد بالفعل ، ومن المستحيل أن يواجه شخص واحد كل هذا العدد من المسلحين ، وهو مقيّد المعصمين خلف ظهره ، داخل سيارة سجن صغيرة ، وأعزل تمامًا ، ولكنك ، وعلى الرغم من هذا ، تقف أمامى سليمًا معافى ، فكيف نجوت ؟

شرد ببصره لحظة ، وكأنه يسترجع أحداثًا ماضية ، ثم قال :

— سأخبرك كيف ..

وعاد يروى قصته ..

* * *

من العجيب أنه عندما ارتجّت المنطقة كلها بدوى الرصاصات ، لم يصب (أدهم صبرى) برصاصة واحدة ..

بل إن أحدًا ممن كانوا يصوّبون إليه فوّهات مدافعهم الآلية لم يطلق رصاصة واحدة أيضًا ..

لقد انطلقت الرصاصات من خلف ظهور الرجال ..

من عند شجرة ضخمة كبيرة الجذع ..

وكرد فعل غريزى وتلقائى ، استدار الرجال كلهم إلى هذه الشجرة ، وأمطروها بسيل غزير من الرصاصات ..

وفى نفس اللحظة تحرّك (أدهم) ..

بحركة بارعة ، غاية فى المرونة والرشاقة ، لما يقرب من الإعجاز ، انثنى جسد (أدهم) ، وانضمّت ركبتاه إلى صدره ، ومال بجذعه إلى الخلف ، وصنع من ذراعيه حلقة ، تنتهى بأغلال معصميه وعبرها بجسده كله ، بحيث صارت قيوده أمام جسده لا خلفه ، ثم قفزت قدمه تركل وجه أحد حارسيه ، ثم تبعتها الأخرى تركل وجه الثانى ، وانحنى (أدهم) يلتقط أحد مدفعى الحارسين ..

كل هذا فى خمس ثوان لا أكثر ..

وفى الثانية السادسة ، كان يهتف :

ـــ التفتوا أيها الأوغاد .

كان يواجه خمسة عشر رجلًا من رجال (كال) ، وعشرة من جنود (جوزيه) ، وكلهم يحملون مدافع آلية ، وهو يحتاج إلى حظ الدنيا كله لينجو منهم ، وعلى الرغم من ذلك لم يحاول إطلاق رصاصة واحدة على ظهورهم ..

حتى وهو يحتاج إلى كل وسيلة ممكنة ..

وحتى وهو فاقد الذاكرة ..

لم يكن يدرى من هو ، ولكن طبيعته العربية كانت تملأ نفسه ، وتصنع غريزته وفطرته الحقة ..

فطرة الفارس ..

ومع صيحته ، التفت الرجال إليه مرة أخرى ..

وهنا فقط أطلق (أدهم) نيران مدفعه الآلى ..

وكانت المفاجأة هذه المرة من نصيب رجال (كال) و (جوزيه) ..

لقد أيقنوا ، فى لحظة واحدة ، من أنهم يواجهون أخطر رجل فى العالم أجمع ، عندما أصابت رصاصات (أدهم) أسلحتهم ، وأطاحت بها ، دون أن تصيب أجسادهم وصدورهم ..

ثم دوت الرصاصات من خلف الشجرة الضخمة مرة أخرى ..

ومع دوى الرصاصات ، هتف (أدهم) :

ـــ أنتم محاصرون .. استسلموا أو يتم القضاء عليكم جميعًا .

كان انقلاب الأمور رأسًا على عقب قد أربك الرجال ، واشترك مع دقة إصابة (أدهم) المذهلة فى تحطيم معنوياتهم ، وبث الخوف والرهبة فى نفوسهم ، حتى أن استجابتهم لصيحة (أدهم) جاءت سريعة ومباشرة ، فرفعوا أيديهم فوق رءوسهم ، وهم يهتفون :

ـــ لا تطلقوا النار .. إننا نستسلم .

ران صمت مدهش عجيب على المكان ، بعد استسلام خمسة وعشرين رجلًا أمام رجل واحد ، حتى قطع (أدهم) هذا الصمت هاتفًا :

تقدم وحدك يا (برونكو) .

برز (برونكو فيلا) من خلف جذع الشجرة الضخم ، وهو يرتجف شاحب الوجه ، وتقدم نحو (أدهم) ، الذى سأله فى هدوء :

ـــ هل كل الرجال فى مواقعهم ؟

ازداد (برونكو) شحوبًا ، وهو يقول :

ــ نعم .. كلهم هناك .

قال (أدهم) فى ثقة :

ــ رائع .. خذ مفاتيح هذه الأغلال ، من جيب صديقنا (جوزيه) ، وحلّ قيودى ، هيّا .

التقط (برونكو) مفاتيح الأغلال من جيب (جوزيه) بأصابع مرتجفة ، واتجه نحو (أدهم) ، وحلّ قيوده فى توتر بالغ ، فقفز (أدهم) خارج سيارة السجن ، وقال فى صرامة :

ــ والآن أيها الأوغاد ، حاولوا أن تحشروا أجسادكم فى سيارة السجن الممتعة هذه .

صعد الرجال داخل سيارة السجن ، وحشروا أجسادهم داخلها فى صعوبة ، وكان آخرهم (جوزيه) ، الذى قال مرتجفًا .

ــ سنيور (أميجو) .. أقسم لك إننى لم أكن أرغب فى هذا ، ولكننى ..

دفعه (أدهم) داخل السيارة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ فيما بعد أيها الوغد .. فيما بعد .

وأغلق السيارة خلفه جيدًا ، ثم التفت إلى (برونكو) ، وربّت على كتفه فى حرارة ، وهو يخفض مدفعه ، قائلًا :

ــ أشكرك يا صديقى .. لقد أنقذت حياتى حقًا هذه المرة .

غمغم (برونكو) فى شحوب :

ــ ثم ماذا ؟.. لقد أنقذتك من الموت حقًا ، ولكننا خسرنا جميعًا كل شىء .. المزرعة صارت ملكًا لـ (كال) ، وأصبحنا نحن مجرمين فى نظر القانون ، ولم يعد أمامنا سوى الفرار .

قاده (أدهم) إلى واحدة من سيارتى الشرطة ، وهو يقول فى حزم :

ــ اطمئن يا (برونكو) .. لن تبقى الأمور هكذا إلى الأبد .

هتف (برونكو) فى يأس :

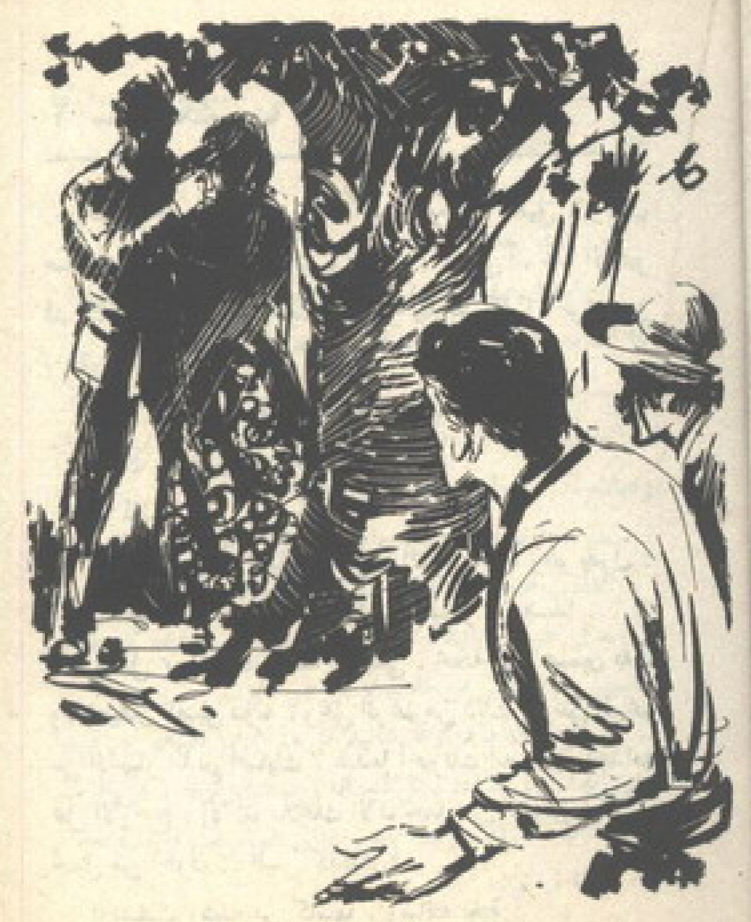
ــ وماذا يمكن أن يحدث ؟.. أن يأتى يوم الحساب ؟!

صمت (أدهم) ، وهو يدير محرّك السيارة ، ثم سأله فى هدوء :

ــ أين (ماريانا) ؟

خفض (برونكو) عينيه ، وهو يجيب :

خلف جذع الشجرة .. إنها هى التى أشعلت شريط الرصاصات ، الذى أفزع هؤلاء المجرمين .. لقد خشيت أنا أن أفعل .



فمن خلف الجذع الضخم برزت (ماريانا) ، ومن خلفها (فرناندو) بوجهه النحيل البارد ، يصوِّب مسدَّسه إلى رأسها ..

غمغم (أدهم) :

ـــ لا تقلق نفسك بهذا الشأن .

ثم رفع صوته ، هاتفًا :

ـــ هيَّا يا (ماريانا) .. اخرجي من مخبئك .. لقد حان وقت الرحيل .

عقد حاجبيه بعد العبارة ، وهو يتطلَّع إلى الجذع الضخم ، في حين أطلق (برونكو) شهقة ذعر ، وهو يهتف :

ـــ ابنتي .

فمن خلف الجذع الضخم برزت (ماريانا) ، ومن خلفها (فرناندو) بوجهه النحيل البارد ، يصوِّب مسدَّسه إلى رأسها ، ويقول في برود :

ـــ هل كنت تقصد هذه الفتاة ؟ .. لا بأس .. سأمنحك إياها ، مقابل أمر بسيط .

ثم نقل مسدَّسه من رأس (ماريانا) إلى رأس (أدهم) ، مستطردًا :

ـــ حياتك .

وأطلق النار ..

* * *

٢ — الغضب ..

حمل وجه (سونيا) علامات التفكير العميق ، وطال صمتها ، وهى تجلس فى مكتب (كال) ، حتى أن هذا الأخير قد سألها فى شىء من القلق ، وهو يناولها كأسًا أخرى من (الفودكا) :

— ألا يبدو لك انفعالك هذا عجيبًا ؟

رفعت عينيها إليه ، وسألته فى شرود :

— لماذا ؟

التقطت من بين أصابعه كأس (الفودكا) ، وهو يقول :

— لقد أتيت هنا لإنقاذ (أميجو) هذا .. أو (دزرائيل) ، أيًا كان اسمه الحقيقى ، بحجة أنك تهيمين به ، ولا تطيقين العيش دونه ، وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من الانهيار الذى أصابك ، عندما أخبرتك أنه قد تم إعدامه على الأرجح ، إلا أن ملامحك الآن تحمل من التفكير أكثر مما تحمل من الحزن .. أليس كذلك ؟

ارتشفت رشفة من كأسها ، وسألته بغتة :

— قل لى : أتعتقد أنه من الممكن أن يحتفظ المرء بكل قدراته ، حتى وهو فاقد الذاكرة ؟

قال فى دهشة :

— أهذا علاقة بسؤالى ؟

أجابته فى لهجة عجيبة ، بدت له مزيجًا من الجذل واللهفة ، مما أصابه بالكثير من الحيرة والشك والحذر ، وهى تقول :

— بالتأكيد يا عزيزى (كال).. إنها علاقة قوية للغاية .

منعه شكه وحذره من إجابة سؤالها ، على الرغم من بساطته ومباشرته ، فمال نحوها ، وقال فى حزم :

— ماذا تعنين بالضبط يا سنيورا (نورما) ؟

أطلقت ضحكة عالية ، أدهشته أيما دهشة ، حتى أنه تراجع برأسه فى حركة حادة ، فى حين ارتشفت هى رشفة كبيرة من كأسها ، ونهضت من مقعدها ، وهى تقول :

— أعنى أنه ما دمتم قد عانيتم كل هذا من (أميجو) ، فهذا يعنى أنه ما زال يحتفظ بكل قدراته وحنكته وقوته ، على الرغم من فقدانه ذاكرته ، وهذا يعنى بالتالى أن الوقت لم يفت بعد .

سألها فى توتر :

— وقت ماذا ؟

تطلّعت إليه بعينين جذلتين ساخرتين ، وهى تجيب :

ــ وقتك أنت يا عزيزى (كال) ، فيمكنك أن ترسل عددًا من سيارات الإسعاف ، لنقل رجالك ، فلا ريب عندى فى أن فك كل منهم سيحمل أثر قبضة (أميجو) هذا لفترة طويلة .

أطلقت ضحكة ساخرة عالية أخرى ، جعلت (كال) يهتف بها فى غضب :

ــ هراء أيتها الألمانية .. هراء .. من المستحيل أن يهزم رجل واحد دستتين من المحترفين .

قالت ساخرة :

ــ لماذا تتصوّر أننى قد أحببته إذن ؟

وغادرت الحجرة ، وهى تواصل ضحكاتها الساخرة ، تاركة (كال) خلفها يغمغم فى انفعال شديد :

ــ لقد أصابها الجنون ؛ لمصرع حبيبها .. هذا ما حدث حتمًا .. الجنون ..

* * *

كانت (سونيا) على حق تمامًا ..

لقد فقد (أدهم) ذاكرته ، ولكنه لم يفقد أبدًا قدراته ، ولا قوته ، ولا سرعة استجابته وردود فعله الخرافية ..

لقد أدار (فرناندو) فوّهة مسدسه نحو (أدهم) فى سرعة ، وأطلق النار بلا تردّد ، وبإحكام شديد ، وبدقة لا يمتلكها إلا محترف ..

ولكن (أدهم) أكثر من محترف ..

إنه رجل نادر ..

رجل المستحيل ..

لقد خيّل لـ(فرناندو) أن (أدهم) قد انحنى ، بأسرع مما تنطلق الرصاصة ، التى اخترقت زجاج السيّارة الأمامى ، ومرقت فوق رأس بطلنا تمامًا ، ثم أصابت زجاج السيّارة الخلفى ، وعبرته بدوى مكتوم ..

ثم انطلقت سيّارة (أدهم) ، نحو (فرناندو) و (ماريانا) ..

واتسعت عينا (فرناندو) فى دهشة .

وصرخت (ماريانا) ..

وشهق (برونكو) هاتفًا :

ــ ابنتى !!

ثم صوّب (فرناندو) مسدسه مرة أخرى نحو السيارة ، وأراد أن يطلق رصاصة أخرى ، والسيارة تندفع نحوه فى سرعة ، وقد اعتدل (أدهم) داخلها .

ومرة أخرى أطلق (فرناندو) رصاصته ، التى لم تصب السيارة هذه المرة ؛ لأن (أدهم) انحرف بها بغتة ، وضغط كابحها فى قوة ، وتركها تثير عاصفة من الغبار فى وجه (فرناندو) ، الذى سعل فى قوة ، وهو يلصق فوهة مسدّسه بصدغ (ماريانا) ويصرخ :

— أنت المسئول أيها اللعين .. سأقتلها

وضغط زناد مسدّسه بلا تردّد .

* * *

اقترن دوى الرصاصة ، التى انطلقت من مسدس (فرناندو) ، بصرخة ألم هائلة ، جعلت قلب (برونكو) يهوى بين قدميه ، قبل أن ينتبه إلى أن الصرخة لم تكن تحمل صوت ابنته (ماريانا) ..

بل صوت (فرناندو) ..

نعم .. (فرناندو) ..

لقد ضغط هذا الأخير زناد مسدّسه بالفعل ، وكانت فوهة المسدّس ملتصقة بصدغ (ماريانا) ، وسحابة هائلة من الغبار تحيط بهما ، ولكن ..

قبل أن تنطلق رصاصة (فرناندو) بجزء من الثانية ، انقضّت قبضة من الفولاذ على معصم هذا الأخير ، ورفعت يده

بالمسدس إلى أعلى ، ثم أمسكت أصابع حديدية أخرى بعنقه فى قوة رهيبة ، فى اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة عاليًا ..

وصرخ (فرناندو) من فرط الألم ، وانتزعت (ماريانا) نفسها من قبضته ، وراحت تعدو فى فزع ، محاولة اختراق سحابة الغبار ، فى حين ارتفع من خلف (فرناندو) صوت (أدهم) الصارم الساخر ، وهو يقول :

— من الخطر أن يلهو الأطفال بالألعاب النارية يا صاح .

وبحركة عنيفة ، لوى معصم (فرناندو) ، وأجبره على إلقاء مسدّسه ، ثم دفعه أمامه ، وهو يستطرد :

— والآن من أرسلك إلى هنا ؟ وكيف بلغت هذا المكان ؟

هتف (فرناندو) فى ألم :

— لن تحصل منى على حرف واحد ، ولن ..

أتمّ عبارته بشهقة ألم رهيبة ، عندما غاصت قبضة (أدهم) فى معدته كقنبلة ، مع صوت (أدهم) الصارم ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

راح (فرناندو) يلهث ، وينتحب ، وهو يهتف :

— كيف تجرؤ ؟.. سيمزّقك سنيور (كال) إربًا ؛ لأنك ..

بتر عبارته مرة أخرى ، وحوّلها إلى صرخة ألم ، عندما حطّمت لكمة (أدهم) أنفه هذه المرة ، وهشمته تمامًا ، فصاح فى ألم ورعب ، ودماء أنفه المحطّم تسال بين شفتيه ، وتتناثر مع حروفه :

— كفى .. سأخبرك .. سأخبرك بكل ما لدى .

قال (أدهم) فى لهجة مخيفة :

— لا بأس .. هذا أفضل .. هات ما لديك .

سعل (فرناندو) ؛ ليبصق الدم الذى ملأ حلقه ، وقال مرتعدًا :

— لقد أرسلنى سنيور (كال) ؛ ولقد وصلت إلى هنا عبر طريق خاص ، يختصر المسافة كثيرًا .

جذبه (أدهم) إليه فى عنف ، وهو يقول فى لهجة جمّدت الدماء فى عروق (فرناندو) :

— حسنًا يا رجل .. سأسمح لك بالعودة حيًا ، ولكن أبلغ (كال) هذا أننى أطالبه بإعادة مزرعة (برونكو) إلى صاحبها وإلا ..

انعقد حاجباه على نحو رهيب ، وهو يستطرد :

— وإلا فسأحطّمه تحطيمًا .. هل تفهم ؟

هتف (فرناندو) فى صوت متحشرج مرتجف :

— أفهم .

دفعه (أدهم) بعيدًا ، وهو يقول فى ازدراء :

— اذهب .

اندفعت (ماريانا) نحو (أدهم) ، هاتفة :

— (أميجو) .. كنت أعلم أنك ستنقذنى .. كنت أعلم يا (أميجو) .

فوجئ بها (أدهم) تلقى بنفسها بين ذراعيه ، وتنفجر باكية ، وقبل أن يُبعدها عن صدره القوى ، سمع (برونكو) يصرخ :

— احترس .

التفت فى حركة حادة ، ووقع بصره على (فرناندو) ، الذى التقط مسدّسه ، وصاح بدوره :

— ما كان ينبغى أن تتركنى أيها الغبى ..

وتردّد فى المكان صوت الرصاصة الصائبة .

* * *



وجحظت عينا (فرناندو) ، ودارتا فى محجريهما ، ثم سقط هو جثة هامدة ..

٣ ـ الثمن ..

كان هذا هو يوم الحظ السيئ ، بالنسبة لـ (فرناندو) ؛ ففى اللحظة التى صوب فيها مسدسه إلى قلب (أدهم) ، انطلقت من خلفه هو رصاصة ، واستقرت فى مؤخرة عنقه .. فى نخاعه الشوكى مباشرة ..

وجحظت عينا (فرناندو) ، ودارتا فى محجريهما ، ثم سقط هو جثة هامدة ..

واستدارت العيون كلها إلى مصدر الرصاصة ، وعقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يزيح (ماريانا) بعيدًا ، ويغمغم :

ـ أنت ؟!

أما (ماريانا) و (برونكو) ، فقد حدقا فى وجه (سونيا جراهام) ، التى أطلقت الرصاصة ، وقد بهرهما جمالها الساحر ، وأذهلتهما فتنتها الطاغية ، وهى تعيد مسدسها إلى جيبها ، قائلة فى هدوء :

ـ هل وصلت فى الوقت المناسب ؟

أجابها (أدهم) :

ــ تمامًا .

لم تحاول إخفاء الحب المتدفّق من عينيها ، وهي تتطلّع إليه ، قائلة في صراحة ووضوح وحنان :

ــ لم أكن لأحتمل فكرة فقدك هذه المرة .

تطلّع إليها (أدهم) في حيرة بالغة ..

إن وجهها يبدو له مألوفًا ، منذ رآها أوّل مرة ، وهو خلف قضبان زنزانته ..

ولكن من هي ؟

ما علاقته بها ؟..

أدركت (سونيا) حيرته ، فاتجهت إليه ، وتحسّست وجهه بأناملها الرقيقة في حنان ، وهي تغمغم :

ــ كم أحبك !!

شعرت (ماريانا) بالكلمة تخترق قلبها ، كخنجر مسموم ، وانعقد حاجباها في ضيق ، وهي تتطلّع إلى (سونيا) في غيرة واضحة ، في حين غمغم (أدهم) ، وحيرته تتضاعف وتشتدّ :

ــ تحبينني ؟!

أمسكت (سونيا) وجهه بكفيها ، وأدنته من وجهها ، وهي تهمس :

ــ هل نسيت حبنا يا (موشى) ؟

(موشى حاييم دزرائيل) ..

قفز الاسم إلى ذهنه بغتة ، كما لو أن الضباب قد انجاب عنه دفعة واحدة ، فور نطقها للاسم ..

ولكنه لم يشعر بالألفة معه ..

لم يشعر بها أبدًا ..

على العكس ، لقد شعر بشيء من الانقباض ، عندما عبر الاسم رأسه وقلبه ، ووجد نفسه يردّد في ضيق :

ــ (موشى دزرائيل) !!.. أهو من تقصدين ؟

غاص قلبها بين ضلوعها ، وهي تسأله :

ــ هل .. هل استعدت ذاكرتك ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ــ لا .. ولكن الاسم بدا لي مألوفًا .

تنهّدت في ارتياح ، وقالت في دلال :

ــ إنه أنت يا حبيبي .. أنت (موشى دزرائيل) .

كاد يهتف :

— مستحيل !
ولكنه لم يفعل ..
ربما كان هو ذلك الشخص بالفعل ..
على الرغم من عدم ارتياحه لهذا ..
على الرغم من كل شىء ..
من يدرى ؟
أصابته الصدمة بصداع شديد ، جعله يتمتم :
— سنيورا .. إننى ..
قالت بالعبرية :
— إنى أقدر ماتشعر به .
فهم لغتها وعباراتها على الفور ، وبسهولة تامة ، جعلته يقول فى مرارة ، وبنفس لغتها العبرية :
— إذن فأنا هو !
كان هناك صراع رهيب يدور فى أعماقه ..
على الرغم من تأكيد تلك الفاتنة لمعرفتها شخصيته ، إلا أن عقله الباطن كان يرفض ، وبشدة كونه يحمل هذا الاسم ..
أو حتى ينتمى إلى من يحملون مثله ..
وأدركت (سونيا) ارتباكه ، وخشيت أن تفسد حيرته

الأمر كله ، فربتت على كتفه ، وقالت فى حرارة :
— لقد وجدتك ثانية يا (موشى) ، ولن نفترق أبدًا .
ابتسم فى حيرة ، وهو يقول :
— أظنه قول متفائل أكثر مما ينبغى ، فأنا الآن رجل ضد القانون ، وضد زعيم منظمة قوية ، و .....
قاطعته فى حزم :
— دع هذا لى .
ثم التفتت إلى (برونكو) ، واستطردت فى لهجة آمرة :
— هيّا أيها المكسيكى .. خذه وانصرف من هنا .
قال (أدهم) فى حزم :
— سننصرف جميعًا .
ابتسمت ، وربتت على وجنته فى حنان ، قائلة :
— لا تقلق بشأنى يا عزيزى ..
ثم أشارت إلى سيارة السجن ، التى انحشر داخلها كل الرجال ، واستطردت :
— إننى أرغب فى التحدث مع عزيزنا (چوزيه) .. وحدنا .
ولم يشعر (أدهم) نحوها بالارتياح ..

لم يشعر به أبدًا ..

* * *

انعقد حاجبا (كال) فى شىء من الغضب ، وهو يستمع إلى (جوزيه) ، بعد ساعة ونصف الساعة من هذه الأحداث ، ثم لم يلبث أن لوَّح بذراعه كلها ، وقال فى حنق :

ــ إذن فقد خدعكم (أميجو) هذا ، وهزم خمسة وعشرين رجلًا ، وهو أعزل ، ولا يؤازره سوى كهل وفتاة .. يالوضاعتكم !!

يا للسخافة !

قال (جوزيه) فى توتر :

ــ إنه شيطان يا سنيور (كال) .. شيطان مَريد .

هتف به (كال) :

ــ ولكنه الآن مجرَّد مجرم هارب ، ويمكنك أن تطلق خلفه جيشك كله .

تردَّد (جوزيه) لحظات ، قبل أن يقول :

ــ هذا صحيح يا سيِّدى ، ولكن ..

هتف به (كال) فى غضب :

ــ ولكن ماذا ؟

ارتبك (جوزيه) ، وتلعثم ، وهو يجيب :

ــ الواقع يا سيِّدى أن سنيورا (نورما كريتهال) قد تقدَّمت بعرض ، و .....

أُرتج عليه ، فلم يستطع مواصلة الحديث ، أمام عينى (كال) الصارمتين ، ولاذ بالصمت التام مما جعل (كال) يقول فى حزم :

ــ أى عرض هذا ؟

أجابه (جوزيه) فى شحوب :

ــ إنها تدّعى تقديم هذا العرض لك من قبل يا سنيور .

ابتسم (كال) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ــ ولكنها أضافت إليه عرضًا خاصًّا بك .. أليس كذلك ؟

ارتجف (جوزيه) ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، وهو يتمتم فى ارتباك شديد :

ــ إنه جزء ضئيل للغاية يا سنيور .. عدة آلاف فحسب .

أومأ (كال) برأسه متفهِّمًا ، على نحو أدهش (جوزيه) ، قبل أن يشعل (كال) سيجارته فى هدوء ، ويجلس خلف مكتبه ، وينفث دخان السيجارة فى عمق ، ثم يقول :

ــ ما رأيك فى هذا العرض يا (جوزيه) ؟

أجابه (چوزيه) فى حذر :

ـ الأمر مرجعه إليك يا سنيور (كال) .

أومأ (كال) برأسه مرة أخرى ، وعاد ينفث دخان سيجارته بنفس العمق ، ثم تراجع فى مقعده ، وشرد ببصره وتفكيره لحظات ، قبل أن يقول :

ـ بل إلى شخص آخر فى الواقع .

ثم اعتدل ، وقال فى حزم :

ـ اتركنى وحدى يا چوزيه .

أسرع (چوزيه) يغادر الحجرة ، وقد بدا له أن أمرًا جللًا سيحدث ، فى حين انتظر (كال) حتى أغلق (چوزيه) الباب خلفه ، ثم التقط سمّاعة الهاتف الخاص ، وهو يغمغم :

ـ فى بعض الأمور ، ينبغى استشارة أعلى المستويات .

ثم ابتسم مستطردًا فى سخرية :

ـ حتى يصبح المرء هو نفسه أعلى المستويات .

مضت لحظات ، لم يصدر الهاتف خلالها سوى الرنين التقليدى ، ثم توقّف الرنين بغتة ، وعبر أذن (كال) صوت عميق ، بارد ، يقول :

ـ من المتحدّث ؟

شعر (كال) بشىء من الرهبة ، وهو يجيب :

ـ إنه أنا يا سيّدى .. (كال) .. نعم .. أعلم أنه ليس من المفروض أن أستخدم هذا الهاتف ، إلا للضرورة القصوى ، ولكننى أظن الأمر ، الذى أتصل بشأنه ، يمكن أن يحمل اسم (الضرورة القصوى) .

أجابه صاحب الصوت البارد العميق فى اقتضاب :

ـ هات ما لديك .

قصّ عليه (كال) القصة كلها ، منذ مصرع (توماس) ، وحتى تقدّمت (سونيا) بعرضها الخاص ، واستمع إليه صاحب الصوت فى إصغاء وصمت كاملين ، ثم أجاب :

ـ اقبل العرض .

شعر (كال) بدهشة حقيقية ؛ لسرعة قبول زعيم المنظّمة للعرض ، ولكن دهشته لم تلبث أن تلاشت ، عندما استدرك الزعيم :

ـ مؤقتًا .

هتف (كال) :

ـ هل تعنى أن نخدعهم يا سيّدى ؟

أجابه الزعيم :

— ليس تمامًا .. إننا فقط سنعقد هدنة مؤقتة مع (أميجو) هذا ورفيقته المليونيرة ، حتى تتمّ تحرياتنا بشأنهما .

قال (كال) :

— لقد تحرّيت أمر (أميجو) هذا بالفعل ، وتأكّدت من وجود من يُدعى (موشى دزرائيل) ، و .....

قاطعه الزعيم فى شىء من الحزم :

— (موشى حاييم دزرائيل) .

هنا قفزت دهشة (كال) إلى ذروتها ، واختلطت بخوف مبهم فى أعماقه ، وهو يغمغم فى اضطراب :

— هل تعرفه يا سيّدى ؟.. أعنى هل سبق لك أن تعرّفته ؟

أجابه الزعيم فى صرامة :

— لا تلق الأسئلة يا (كال) .. ليس مسموحًا لك أن تفعل .

ارتبك (كال) ، وارتجف صوته ، وهو يقول :

— معذرة يا سيّدى .. معذرة .. لقد نسيت .

قال الزعيم فى برود مخيف :

— حاول ألا تنسى مرة أخرى .. وأرسل لى صورة لـ (أميجو) هذا ، بوساطة (الفاكسميل) .

أجاب (كال) متوترًا :

— سأفعل يا سيّدى .. سأفعل .

وأنهى الاتصال ، وأطلق من أعماق صدره زفرة قوية ، وقال :

— يبدو أن معركتنا لم تنته بعد ، يا من تحمل اسم (أميجو) ؛ فمعارك (سكوربيون) مع أعدائها لا تنتهى أبدًا بالتفاوض ، فلدينا ثمن واحد لنهايات الحروب .

ونفث دخان سيجارته فى عمق أكثر ، قبل أن يستطرد :

— الموت .

* * *



٤ ــ الهدنة ..

أطلقت (سونيا) ضحكة عالية ، جلجلت فى المكان ، قبل أن تهتف فى سعادة :

ــ انتهى الخطر يا (موشى) .. لقد نجحت .. ابتعت حريتك وأمنك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر :

ــ لست أدرى كيف يمكن تفسير هذا ، ولكننى لا أطيق اسم (موشى) هذا ..

شىء ما فى أعماقى يرفضه ، والأفضل أن تخاطبينى باسم (أميجو) .

اقتربت منه ، وقالت فى حنان :

ــ لا بأس يا حبيبى .. أنا أيضًا أفضّله .

كانت صادقة فى قولها هذا ؛ فاستخدام (أدهم) لاسم (موشى دزرائيل) محفوف بالخطر ؛ إذ قد يلتقط الاسم أحد رجال المخابرات المصرية ، أو أحد عملاء (الموساد) ، فيثير

اهتمامه ، ويتوصّل إلى حقيقة (أدهم) ، وبقائه على قيد الحياة ..

وهى لا ترغب فى هذا ..

إنها تريد أن يبقى (أدهم) مجهولاً للجميع ..

أن يظلّ مجرّد رَجل ميت ، فى نظر كل أجهزة المخابرات ، وكل النظم الإجرامية ، التى سبق له أن حطّمها ، فى أرجاء العالم الأربعة ..

كانت تريده حيًّا ، لها وحدها ..

وفى دلال ، ألصقت رأسها بصدره ، هامسة :

ــ ألا يسعدك ما فعلته من أجلك ؟

شعر بالحرج لما تفعله أمام (برونكو) و (ماريانا) ، خاصة ، وقد بدا الحزن على وجه هذه الأخيرة ، مختلطًا بالأسى واليأس ، فدفع (أدهم) (سونيا) عن صدره فى رفق ، وهو يسألها :

ــ أخبرينا أوّلاً ماذا فعلت ؟

قالت فى حماس :

ــ لقد حصل (كال) على مليون ونصف من الدولارات ، مقابل إيقاف حربه ضدك ، ومقابل ربع هذا

المبلغ سحب (جوزيه) كلّ اتهامات الشرطة لك ، بل سيعمل على استخراج هوية رسمية باسمك وصورتك ، حتى تصبح إقامتك هنا طبيعية وسليمة مائة في المائة .

سألها في حزم :

ــ وماذا عن مزرعة (برونكو) ؟

عقدت حاجبيها ، وهي تقول في عصبية :

ــ ماذا عنها ؟.. ألم يحصل على ثمنها ، ويوقّع عقد البيع ؟

أطرق (برونكو) برأسه في خزى واستسلام ومرارة ، في حين قال (أدهم) بنفس الصرامة :

ــ لا يمكنني اعتبار هذا بيعًا رسميًّا .. إنه اغتصاب للأرض باسم القانون ، تمامًا مثلما حدث في ..

تلاشت صرامته بغتة ، وتحوّلت ملامحه إلى الحيرة ، وهو يضيف في خفوت :

ــ في (فلسطين) .

انتفضت لدى سماعها الكلمة ..

انتفضت بحق ..

لقد طرق الأمر نقطة عربية في أعماقها ، لم تشأ هي التطرّق إليها أبدًا ..



شعر بالحرج لما فعله أمام (برونكو) و (ماريانا) ، خاصة ، وقد بدا الحزن على وجه هذه الأخيرة ، مختلطًا بالأسى واليأس ..

من المهم ألّا تفعل ..

ولقد أدركت أن ذكر (فلسطين) قد أعاد إليه نبض عروبته وغريزته ، و .....

وكان علينا أن نخمد كل هذا على الفور ..

وبسرعة ، قالت (سونيا) :

ــ ولكن (كال) مستعد لدفع الثمن الذى يطلبه (برونكوا) .. مهما كان .

استعاد (أدهم) صرامته ، وهو يقول :

ــ ولكن (برونكو) لا يريد المال .. إنه يريد مزرعته ، و .....

قاطعه (برونكو) فى تردد :

ــ معذرة يا (أميجو) .. معذرة يا سنيورا .. هل لى فى الإدلاء برأيى فى هذا الشأن ؟

التفت إليه (أدهم) ، قائلًا :

ــ بالتأكيد يا رجل .. إنها قضيتك .

ازدرد (برونكو) لعابه ، وربّت على ظهر ابنته (ماريانا) ، وكأنما يحاول أن يستجمع كل شجاعته ، ثم قال :

ــ الواقع يا (أميجو) أننى أفضّل المال على المزرعة .

هتف (أدهم) فى دهشة :

ــ ماذا ؟

أسرع (برونكو) يقول :

ــ لن أشعر بالاطمئنان أبدًا بعد الآن ، حتى ولو أعدتنى أنت بالقوة إلى مزرعتى ، ما دام سنيور (كال) ورجاله يسعون للحصول على كل أراضى الوادى .. سأرحل مع ابنتى إلى إحدى المدن الكبرى ، (سان لويس) ، أو (سالتيلو) .. أو حتى (مكسيكو سيتى) نفسها ، وبالمال الذى سأحصل عليه ثمنًا للمزرعة ، يمكننى أن أفتح متجرًا فاخرًا هناك ، وأقيم فى قصر صغير ، هذا بالإضافة إلى أن (ماريانا) ستجد فى المدن الكبرى زوجًا أفضل .

أطرقت (ماريانا) برأسها فى حزن ، فى حين قال (أدهم) فى حدة :

ــ أى تخاذل هذا يا رجل ؟.. هل تتنازل عن كل حياتك وآمالك ؛ بسبب الخوف ؟.. فى وطنى لا يفعل أى شخص هذا ، بل ..

قاطعه (برونكو) فى دهشة :

ــ وطنك ؟!

انفجرت الكلمة فى رأس (أدهم) كالقنبلة ..

وطنه ؟!..

ما هو وطنه ؟..

هل هو (إسرائيل) بالفعل ، كما تقول (سونيا) ؟!..

لم يستطع أبدًا تقبّل هذه الفكرة ..

وفى هذه المرة أيضًا شعرت (سونيا) بضرورة التدخل ، قبل أن تستيقظ ذاكرة (أدهم) ، فأسرعت تسأل (برونكو) :

ـــ كم تطلب كثمن مجز لمزرعتك يا رجل ؟

أجابها فى حذر :

ـــ هذا يتوقّف على الثمن الذى تعرضينه .. أقصد الذى يعرضه سنيور (كال) ياسنيورا .

قالت فى حزم :

ما رأيك بربع مليون دولار ، بالإضافة إلى ما منحك إياه (كال) ؟

أجابها فى ارتياح :

ـــ هذا يكفى ياسنيورا .. شكرًا لك .

قال (أدهم) فى ضيق :

ـــ ستندم كثيرًا لو قبلت هذا العرض يا (برونكو) .

غمغم (برونكو) :

ـــ لا أعتقد هذا يا سنيور .. لا أعتقد هذا .

أخرجت (سونيا) دفتر شيكات جديدًا ، ودوّنت المبلغ على أحد الشيكات المصرفية ، ثم ناولته لـ (برونكو) ، وهى تقول فى حزم :

ـــ متى سترحل مع ابنتك ؟

تمتم وهو يدسّ الشيك فى جيبه :

ـــ على الفور ياسيدتى .. على الفور .

ثم التفت يصافح (أدهم) ، قائلًا :

ـــ الوداع يا (أميجو) .. كنت أتمنى أن نبقى معًا ، ولكن من الواضح أنك لا تنتمى إلينا قط .

قال (أدهم) فى ضيق :

ـــ لا يروق لى أبدًا ما تفعله يا (برونكو) .

غمغم (برونكو) :

ـــ كل شخص يدرك ما يناسبه يا (أميجو) .. اغفر لى ، فلست مقاتلًا صنديدًا مثلك .

أما (ماريانا) ، فقد بكت فى حرارة ، وهى تصافح

(أدهم) ، ثم انصرفت مع والدها ، ودموعها تملأ وجهها ، ولم تكد سيارتهما تبعد ، حتى تنهدت (سونيا) فى ارتياح ، والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة :

— يمكننا أن نطوى هذه الصفحة الآن .. أليس كذلك ؟

أجابها فى حزم :

— ليس بعد .

هتفت فى ضيق :

— لماذا ؟. ألم ينته الأمر ، ويربح كل امرئ معركته ؟

التفت إليها يقول فى حدة :

— وماذا عن العالم ، الذى تسعى منظمة (سكوربيون) للسيطرة عليه ؟

صاحت فى حنق :

— وما شأننا به .. دعهم لشأنهم ، ولنهتمّ نحن بشئوننا .

قال فى صرامة :

— خطأ يا (نورما) .. نحن جزء من هذا العالم ، ولو سيطر عليه أوغاد مثل رجال (سكوربيون) ، فلن نجد فيه ركنا واحدًا آمنًا .

كان هذا هو (أدهم صبرى) الذى تعرفه ..

نفس الرجل الذى أحبّته ، والذى هامت به عشقًا ..

نفس الرجل الذى تخشاه ..

بل هو الرجل الوحيد فى العالم كله ، الذى تحمل له الرهبة والعشق فى آن واحد ..

إنها تعلم تمامًا أنه لن يتراجع عن معركته هذه أبدًا ..

لقد خُلق ليقاتل ..

ولينتصر ..

وفجأة وجدت نفسها تهتف :

— تزوّجنى أوّلًا .

أدهشتها عبارتها بأكثر مما أدهشته ..

لم تتصوّر أبدًا أن تطلب هذا من رجل ..

ولكن (أدهم) ليس مجرّد رجل ..

إنه أعظم الرجال ..

فى نظرها على الأقل ..

وفى دهشة ، تمتم (أدهم) :

— أتزوّجك ؟!

التصقت به ، وهى تقول فى استكانة :

— لقد طُلبت منى ذلك أكثر من مرة .. ألا تذكر هذا ؟..

نعم ...

إنه يذكر شيئًا مماثلًا ..

يذكر أنه كانت هناك فتاة حسناء ، طالبها هو بقبول الزواج منه أكثر من مرة ..

ولكنه لا يذكر ملامحها جيدًا ..

عقله يجهلها تمامًا ..

ولكن قلبه يذكرها ..

قلبه الذى نبض بحب لا مثيل له ، عندما تذكّر هذا الأمر ..

نفس القلب الذى يرفض أن تكون فتاة أحلامه هى (سونيا) ..

صحيح أن (سونيا) فاتنة ..

بل هى أجمل جميلات الأرض بلا منازع ..

ولكنها ليست الطراز الذى يروق له ..

ليست الفتاة التى أحبّها ..

قلبه يؤكّد هذا ..

وعلى الرغم من ذلك غمغم (أدهم) :

— إننى .. إننى أذكر هذا تقريبًا .

التصقت به أكثر ، وأراحت رأسها على صدره ، وهى تقول :

— حسنًا يا حبيبى .. هأنذا أقبل عرضك لأوّل مرة .. دعنا نتزوّج أوّلًا ، ثم نخوض حربنا معًا ، ضد منظمة (سكوربيون) كلها ، كما فعلنا من قبل .

كانت مناورة ذكية منها ..

لقد قرنت زواجهما بالحرب ضد (سكوربيون) ..

وبحروب وهمية خاضاها معًا ..

ولقد أفلحت مناورتها ..

استعاد ذهن (أدهم) لمحة من صراعاته السابقة ضد أجهزة المخابرات ، والمنظمات الإجرامية ..

وفى تلك اللمحة كانت هناك فتاة إلى جواره ..

وخيّل إليه أنها نفس الفتاة ، التى يضمّها إلى صدره فى هذه اللحظة ..

وأمام تلك الفكرة ، التى خدعت عقله ، قال (أدهم) :

— نعم يا (نورما) .. سنتزوج أوّلًا .

وربحت (سونيا جراهام) هذه الجولة ..

* * *

٥ ـ الحرب مرة أخرى ..

توترت يد (منى) على نحو ملحوظ ، وهى تر[illegible] شفة من قدح الشاى الدافئ ، فى حجرة مكتب منزلها ، وخيل إليها أنها تعجز عن ابتلاع السائل ، فسعلت فى قوة ، ثم وضعت القدح بعيدًا عنها ، وهى تغمغم فى سخط :

ـ تلك اللعينة !

ثم هتفت مستطردة فى غضب :

ـ ولقد تزوجتها .. أليس كذلك ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـ لقد بدا ذلك طبيعيًا آنذاك .

قالت فى عصبية :

ـ بالتأكيد .

لم تستطع إخفاء غيرتها وحنقها ..

لم تحاول حتى أن تفعل ..

وعلى الرغم منها ، سالت من عينيها دمعة قهر ومرارة ، وهى تسأله :

ـ وكيف تزوجتها ؟

هز كتفيه ، وهو يجيب :

ـ لقد تم ذلك على نحو طبيعى .

ران عليهما صمت ثقيل ، استغرق خمس دقائق كاملة ، مسحت خلالها دموعها بأناملها ، ثم سألته فى خفوت :

ـ أعنى بأية وسيلة تزوجتها ؟.. إنك مسلم ، وهى يهودية ، وسيكون من الخطأ أن .....

قاطعها فى هدوء :

ـ لقد تزوجنا زواجًا مدنيًا(*) .

سألته فى ضيق ، وقد فقدت الأمل الأخير فى أن يكون هذا الزواج غير صحيح أو قانونى :

ـ ومن اقترح فكرة الزواج المدنى ؟

أجابها :

(*) الزواج المدنى : هو تحرير عقد الزواج بوساطة قاض ، بنفس الوسيلة التى يتم بها تحرير أى عقد عمل بين طرفين ، وهو أشبه بالزواج العرفى ، مع فارق أنه يتم إشهاره وإعلانه ، ويحصل فيه كل طرف من الطرفين على حقوقه الزوجية والمادية كاملة ، بحكم القانون العام .

— هى التى اقترحته ، وقد مالت نفسى لذلك — حينذاك — لأن غريزتى لم تحتمل فكرة الزواج اليهودى .. حتى وأنا فاقد الذاكرة .

تمتمت ، وهى تشيح بوجهها بعيدًا :

— هذا أفضل .

عاد ذلك الصمت الثقيل يخيّم عليهما مرة أخرى ، قبل أن يقول هو :

— لقد تصوّرت أننى أتزوّجك أنت .

قالت فى مرارة :

— حقًا !

قال فى خفوت :

— كنت قد نسيت ملامحك تمامًا .

قالت ودموعها تسيل من عينيها مرة أخرى :

— أمن المفروض أن يسعدنى هذا ؟

أجابها على نحو مباشر صريح :

— لا .

مسحت دموعها مرة أخرى ، وسألته فى ضيق واضح :

— حسنًا .. هل قضينا شهر عسل جيّدًا ؟

ابتسم مشفقًا ، وهو يجيبها :

— لم تتح لنا الفرصة أبدًا .

سألته فى اهتمام :

— لماذا ؟

تنهّد فى عمق ، ثم راح يروى لها ما حدث .. وبكل التفاصيل ..

* * *

لا أحد فى العالم كله ، يمكن أن يصف فرحة (سونيا جراهام) العارمة ، عندما تمّ زواجها بـ (أدهم صبرى) ..

كان ما حدث يبدو بالنسبة إليها أشبه بالمعجزة ..

بل هو معجزة حقيقية ..

من كان يتصوّر هذا ؟!..

بل من كان يمكنه أن يتخيّل ما حدث ، حتى فى أغرب وأعجب الاحتمالات ؟!..

لقد تزوّجت هى بالذات (أدهم صبرى) ..

بعد كل صراعاتهما ..

بعد كل حروبهما ..

هى نفسها لم تتصوّر أن يحدث هذا !.

لم تكن تصدّق أنها تمتلك القدرة على الحب ، وعلى منح الحنان لشخص آخر ..

إنها بالفعل معجزة ..

وبكل سعادتها ولهفتها ، تعلّقت بذراع (أدهم) المفتولة العضلات ، وهتفت :

ـ هل يمكنك أن تصدّق هذا ؟.. إننا زوجان .

لم يبد لها سعيدًا مثلها ، وإنما بدا شاردًا قلقًا ، حتى أنها سألته :

ـ ألا يسعدك أننا كذلك ؟

غمغم :

ـ يسعدنى بالطبع .

ولكن لهجته لم تكن مقنعة ..

تمامًا كملامحه ...

وأدركت هى ما يشعر به على الفور ..

إنه حائر ..

قلق ..

لا يدرى لماذا تزوّجها ، ولا متى أحبّها ؟..

ولكنها ستمنعه من الخوض فى بحر ذكرياته الجاف ..

ستنتشله من نهر الماضى ، قبل أن يسبح فيه ..

ولقد وجدت فرصة مثالية ؛ لانتزاعه من ذكرياته ، عندما رأت أمامها (كال) ، وهو يتقدّم منهما ، ويبتسم قائلًا :

ـ تقبّلا تهنئاتى .

صافحته (سونيا) فى حرارة ، وهى تهتف :

ـ شكرًا يا سنيور (كال) .. كم أسعدنا حضورك !!

أما (أدهم) فقد صافحه فى برود ، لم يغب عن (كال) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ لقد أدهشك حضورى يا (أميجو) .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم) فى برود :

ـ مطلقًا .

ثم أضاف وهو يجذب (سونيا) :

ـ أظننا سننصرف ، فلدينا موعد هام ، مع شركة سياحية .

أمسك (كال) ذراع (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ليس الآن .

التفت إليه (أدهم) فى حركة عنيفة ، وكأنما يتحفّز لقتاله ، إلا أن (كال) ابتسم فى سرعة ، وقال :



ولقد وجدت فرصة مثالية ، لانتزاعه من ذكرياته ، عندما رأت أمامها (كال) ، وهو يتقدَّم منهما ، ويبتسم ..

— سيلتقط لنا مصوِّرى الخاص صورة ضوئية معًا .

ثم وضع يده على كتف (أدهم) ، والتفت إلى مصوِّره ، قائلًا :

— هيَّا .. التقط الصورة .

سطع ضوء مصباح التصوير فى وجه (أدهم) ، الذى بدا متبرِّمًا ، حتى رفع (كال) يده عن كتفه ، وقال مبتسمًا :

— الآن يمكنكما الانصراف .

قال (أدهم) ساخرًا :

— حقًا ؟.. لم أتصوَّر أنك ستمنحنا هذا الحق أبدًا .

ثم ابتعد مع (سونيا) فى خطوات سريعة ، وتابعهما (كال) ببصره ، حتى استقلَّا سيارة (سونيا) ، ثم انعقد حاجباه ، والتفت إلى المصوِّر ، قائلًا :

— أريد صورة واضحة كبيرة لوجه ذلك الوقح ..

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

— من يدرى ؟.. قد تؤدِّى صورته إلى بتر عنقه .. كما أتمنَّى ..

* * *

انهمرت دموع (ماريانا) كالسيل ، وهى تنكمش فى

مقعدها ، إلى جوار والدها ، وسيارتهما تنطلق بهما عبر الطريق الصحراوى إلى (مكسيكو سيتى) ، وتطلّع إليها والدها مشفقًا ، وهو يقول :

ـــ لقد انتهى كل شىء يا بنيتى .

قالت باكية :

ـــ صدقت يا أبى .. انتهى كل شىء .. وهذا ما يبكينى .

تنهّد فى حزن ، وربّت على كتفها ، قائلًا :

ـــ سنبدأ حياة جديدة فى (مكسيكو سيتى) .. سنربح الكثير ، وستكون لنا تجارة كبيرة ، وستجدين زوجًا أفضل ، و .....

انهارت فى مزيد من البكاء ، وهى تقول :

ـــ لا يوجد من هو أفضل منه .. قط .

تنهّد مرة أخرى ، وقال فى خفوت :

ـــ ولكنه لا يناسبك أبدًا .. كلاكما لا يناسب الآخر .

هتفت فى مرارة :

ـــ وهل تناسبه تلك القرية ؟

صمت لحظات ، ثم قال :

ـــ ولا هى أيضًا تناسبه .

قالت حزينة :

ـــ ولكنه تزوّجها .

غمغم :

ـــ وهذا ما يدهشنى .

ثم أضاف فى حزم :

ـــ هناك أمر آخر يدهشنى أكثر ، فلقد تعاملت مع بعض اليهود من قبل ، وهذا الرجل لا يبدو لى إسرائيليًا .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف فى قوة وثقة :

ـــ لا يبدو كذلك أبدًا ..

* * *

اختطف (كال) صورة (أدهم صبرى) ، من يد المصوّر فى خفة ، وضغط أسنانه وهو يتطلّع إليها ، قائلًا :

ـــ ها هو ذا وجهك أخيرًا بين يدىّ أيها الغامض .

أسرع يلتقط سمّاعة الهاتف ، وضغط أزرار رقم الزعيم ، ولم يكد يسمع صوته ، على الجانب الآخر ، حتى هتف :

ـــ لقد حصلت عليها يا سيّدى .. حصلت على صورة (أميجو) .

أجابه زعيمه فى برود :

— وهل كانت مهمة العثور عليها عسيرة إلى هذا الحد ؟

ارتبك (كال) وغمغم :

— ليست عسيرة ، ولكن ..

قاطعه فى صرامة :

— ولكن ماذا ؟

زفر (كال) فى توتر ، وقال :

— لقد حصلت عليها فحسب .

قال الزعيم بنفس البرود والصرامة :

— أرسلها على الفور ، عبر (الفاكسميل) .

ضغط (كال) زر تشغيل جهاز (الفاكسميل) ثم دفع صورة (أدهم) فى التجويف الخاص بإرسال الصور ، وجلس ينتظر استقبال الزعيم لها ، فى مقرّه الخاص ..

وفجأة نقلت إليه أسلاك الهاتف شهقة دهشة قوية ، انطلقت من حلق الزعيم ، قبل أن يهتف فى انفعال :

— أأنت واثق أنها صورته يا (كال) ؟.. أأنت واثق من أن هذا الرجل هو الذى تعرفه باسم (أميجو) ؟

غمغم (كال) فى حيرة :

— إنه هو نفسه يا سيّدى .. لقد التقيت به أكثر من مرة .

هتف الزعيم فى انفعال طاغ :

— يا للشيطان !!

كانت دهشة (كال) كبيرة ، فقد كانت هذه هى أوّل مرة يسمع فيها الزعيم منفعلًا ، ولقد أقلقه هذا كثيرًا ، حتى أنه قال فى توتر وقلق :

— أهو بالغ الخطورة إلى هذا الحد ؟

أجابه الزعيم :

— بل هو الخطورة نفسها يا (كال) ، ولو أنه فاقد الذاكرة حقًا ، فتلك فرصة مثالية للتخلّص منه تمامًا .

ثم أضاف بكل صرامته وحزمه :

— اسمعنى جيّدًا يا (كال) .. أريد هذا الرجل حيًا .. هل تفهم ؟.. أريده هنا .. فى (تيرور) .. أريد أن ألقيه بنفسى فى حوض أسماكى ، الذى أفلت منه من قبل .. أريده فى أعماق حوض الموت ..

* * *

٦ ـــ النيران ..

تثاءبت (سونيا) في تراخ ، وألقت نظرة كسولة على (أدهم) ، الذي اتخذ المقعد المواجه لنافذة الحجرة ، وراح يتطلع إلى شروق الشمس ، من خلف التلال ، وتمتمت (سونيا) وهي تراقبه في افتتان :

ـــ هل تستيقظ دائمًا مع شروق الشمس ؟

غمغم في اقتضاب :

ـــ تقريبًا .

تطلّعت إليه لحظة ، ثم غادرت الفراش ، واتجهت إليه ، وداعبت خصلات شعره السوداء الناعمة ، وهي تقول :

ـــ أأنت نادم على زواجنا ؟

أجابها على الفور :

ـــ مطلقًا .

قالها وكأنه يعلن صحة إحساسها ، أو كأنه ينفيها مع نطقها ، فتسلّل الحزن إلى قلبها ، وقالت :

ـــ يخيّل إليّ أنني لا أروق لك .

ابتسم في شرود ، وهو يقول :

ـــ ولِمَ لا ؟.. إنك أجمل امرأة رأيتها في عمري كله .

على الرغم من ثقتها في أنه لم يقل هذا إلا ليجاملها فحسب ، إلا أنها شعرت بالسعادة لعبارته ، التي دغدغت أنوثتها في نعومة ..

لقد تغيّرت هي أيضًا ..

لأوّل مرة في عمرها ، تترك (سونيا) العنان لأنوثتها ..

بل تسعد بذلك ..

ربّما لأنها أحبّت ..

ولأن حبيبها رجل بكل ما تعنيه الكلمة من معان ..

وانحنت ، لتطبع على وجنته قبلة حب ..

ولكنها لم تفعل ..

لقد اعتدل فجأة ، وأزاحها جانبًا ، وهو يعقد حاجبيه ، قائلًا :

ـــ ما هذا ؟

اعتدلت في قلق ، وسألته :

ـــ ماذا حدث ؟

هبّ واقفًا ، وهو يقول :

— هناك أشخاص يتسللون إلى حجرتنا .

هتفت في خفوت :

— يتسللون ؟!

أشار إليها بالصمت ، وهو يتجه نحو الباب في خفة النمر ، فعقدت حاجبيها الجميلين ، وأسرعت تنتزع مسدسها من حقيبتها في خفة ، وصوَّبته نحو الباب ، وأرهفت سمعها جيِّدًا ..

كان هناك عدة أشخاص يتسللون بالفعل إلى المكان ، وكان من الواضح أنهم يحاولون التزام الصمت ، إلا أن وقع أقدامهم لم يكن ليخفى على آذان مدرَّبة كأذنيها وأذني (أدهم) ..

وفجأة حدث الهجوم ..

لم يحدث من الباب ، كما توقَّعت ، وكما توقَّع (أدهم) ..

لقد جاء من النافذة ..

اقتحم ثلاثة رجال النافذة ، وحطَّموا زجاجها ، وقفزوا داخل الحجرة ، وهم يصوِّبون مسدساتهم نحو (أدهم) ..

وبسرعة مدهشة ، استدارت (سونيا) إلى الرجال الثلاثة ، وصرخت :

— ابتعدوا .

وانطلقت رصاصات مسدسها تسقط رجلين ، في حين قفز

(أدهم) نحو الثالث ، وركل مسدسه ، وهو يهتف بها :

— لا تقتل .

وفي نفس اللحظة التي حطَّمت فيها قبضته فك الرجل ، اقتحم عشرة رجال باب الحجرة ، وهم يحملون المدافع الرشَّاشة ..

واستدار (أدهم) يواجه الرجال العشرة ، واستدارت (سونيا) تصوِّب إليهم مسدسها ، ولكن كبيرهم قال في حزم :

— لا تحاولي يا سيِّدتي .. إننا لن نتردَّد في إطلاق النار ، دفاعًا عن حياتنا .

قال (أدهم) في صرامة :

— من أرسلكم ؟

أجابه الرجل :

— دعك من هذا ، فكل ما نطالبك به هو أن تستسلم ؟ إذ أن الأوامر التي لدينا تقتضي إلقاء القبض عليك حيًّا .

ابتسم (أدهم) وقال :

— جميل منك أن أوضحت .

وبقفزة مباغتة ، وجد الرجال العشرة (أدهم) بينهم ،

وقبل أن يتلاشى من أذهانهم أثر المفاجأة ، كانت قبضة (أدهم) تحطِّم فك أحدهم ، وقبضته الأخرى تغوص فى معدة آخر ، وقدمه تضرب سلاح ثالث ، و .....

وهوت على مؤخرة عنقه ضربة قوية ..

وضرب كعب مدفع آلى رأسه ..

وهتف (أدهم) :

ـــ أيها الأوغاد ..

ولكن ضربة ثالثة حسمت الصراع ..

وسقط (أدهم) فاقد الوعى ..

وصرخت (سونيا) :

ـــ (أدهم) .. لا ..

صوَّب إليها الرجال مدافعهم الآلية ، وهتف بها كبيرهم :

ـــ لا داعى يا سيِّدتى .. إلقى سلاحك ، فصحيح أن الأوامر لا تتضمَّن قتلك ، ولكننا لا نتردَّد فى الدفاع عن أنفسنا .

تردَّدت لحظة ، ثم ألقت مسدسها ، وسألت الرجل فى توتر :

ـــ ماذا ستفعلون به ؟

التقط الرجل مسدسها ، وهو يجيب :

ـــ ليس من حقى أن أخبرك .. لقد أمرنا سيور (كال) بإحضاره حيًّا ، وهذا كل ما لدينا .

رأت الرجال يحملون (أدهم) ، ويغادرون المكان ، والرجل يصوِّب إليها سلاحه ، وتملكها اليأس ، وهى تفقد الرجل الذى تحبّ ، بعد أن أصبح زوجها ، وصرخت فى حنق :

ـــ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

وبقى سؤالها بلا جواب ..

* * *

ابتسم (كال) ابتسامة واسعة متشفِّية ، وهو ينفث دُخان سيجارته فى وجه (سونيا) ، التى تهتف فى غضب :

ـــ ما جوابك يا (كال) ؟

أجابها فى سخرية شامتة :

ـــ ليس لدى جواب يا عزيزتى .. كانت الضرورة تقتضى إلقاء القبض على زوجك العزيز ، ففعلنا .

هتفت ساخطة :

ولكنك وعدت .

قال فى صوت مرتفع :

ـــ وعدت ؟!

ثم أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يضيف :
ـــ وهل هناك قيمة للوعود ، فى عملنا هذا ؟
قالت فى حدة :
ـــ ولكنك تقاضيت الثمن .
أجاب ساخرًا :
ـــ أى ثمن ؟.. هل وقّعت لك إيصالًا ، أو ما شابه ؟
عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تقول :
ـــ هكذا ؟
تراجع فى مقعده ، وهو ينفث دُخان سيجارته فى عمق ، وقال :
ـــ نعم .. هكذا يا عزيزتى (سونيا) .
واعتدل دفعة واحدة ، مستطردًا :
ـــ (سونيا جراهام) .
حدّقت (سونيا) فى وجهه بدهشة ، فأطلق ضحكة عالية أخرى ، وقال فى ظفر :
ـــ هذا هو اسمك الحقيقى يا عزيزتى (نورما) .. أليس كذلك ؟
بقيت صامتة لحظات تتطلّع إلى وجهه فى غضب ، ثم لم تلبث أن قالت بغتة :

ـــ أعطنى سيجارة .
اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يقول :
ـــ ماذا ؟
كرّرت فى شراسة :
ـــ أعطنى سيجارة .
ناولها علبة سجائره ، فاختطفتها من يده على نحو حاد ، جعلها أشبه بقطة ناعمة جميلة ، أصابتها نوبة عدوانية مباغتة ، ثم ألقت جسدها على المقعد المقابل لمكتبه ، وأشعلت السيجارة فى عصبية ، ونفثت دخانها فى قوة ، قبل أن تلتفت إليه ، وتسأله :
ـــ كيف عرفت ؟
لوّح بكفه ، وقال فى لهجة حملت رائحة الزهو :
ـــ لم يكن ذلك سهلًا .. لقد أرسلت للزعيم صورة لزوجك العزيز ، ولم يكد يراها ، حتى تعرّفه على الفور ، وأمر بإلقاء القبض عليه حيًا ، ثم سألنى عن شخصيتك ، وطلب منى إرسال صورة ضوئية لوجهك أيضًا ، وكان يشك فى أنك فتاة مخابرات مصرية ، تحمل اسم (منى) .
غمغمت (سونيا) فى ضيق :
ـــ (منى توفيق) ؟

أجابها مبتسمًا :

ـــ تمامًا .. ولكن الزعيم تعرَّفك على الفور أيضًا ، وقال إنك كنت سابقًا واحدة من أعظم عميلات (الموساد) ، وأن اسمك الحقيقى هو (سونيا) .. (سونيا جراهام) .

وتلاشت ابتسامته ، وهو يميل نحوها مستطردًا :

ـــ ولقد أذهله بحق أن تسعَىْ لإنقاذ ذلك الرجل .. بل والزواج منه ، فهو يؤكِّد أنك كنت أكثر من يبغضه فى العالم أجمع .

واكتست لهجته بفضول واضح ، وهو يضيف :

ـــ لماذا فعلت يا (سونيا) ؟..

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية وقوة ، وقالت :

ـــ لا داعى لأن تعرف .. لن تفهم أبدًا .

ثم سألته فى برود أدهشه :

ـــ وهل أخبرك الزعيم باسم زوجى الحقيقى ؟

أجاب فى زهو :

ـــ اسمه (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

خيِّل إليه أن قشعريرة سريعة قد سرت فى جسدها ، عندما نطق الاسم ، وأن ملامحها الجميلة قد حملت علامات وحشية

رهيبة ، فى اللحظة التى تلت ذلك ، حتى أنه شعر بقلق ورهبة ، وهى تلقى سؤالها التالى بكل الهدوء :

ـــ وأين أرسلتم (أدهم) ؟

قال متوترًا :

ـــ لن أخبرك .

تجاهلت جوابه ، وكأنها لم تلق السؤال أبدًا ، وسألته :

ـــ هل أخبرت الجميع بحقيقة شخصيته ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال وقد تضاعف القلق فى أعماقه ، مع ذلك الهدوء الشديد فى صوتها وملامحها ، والذى لا يتناسب أبدًا مع الموقف :

ـــ ليس بعد .. لقد رأى الزعيم أن نؤجِّل هذا لحين أن ..

تراجع فى مقعده فى حدة ، وهو يبتر عبارته ، وأطلق شهقة دهشة وذعر ، عندما رفعت (سونيا) فى وجهه بغتة مسدسًا صغيرًا ، مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وهى تقول فى شراسة :

ـــ هذا أفضل .

لوَّح بيده فى ذعر ، وهو يقول بصوت مختنق :

ـــ ما .. ماذا تفعلين ؟.. هل جننت ؟.. وكيف ؟. كيف لم ينتبه رجالى إلى وجود هذا المسدس معك ؟

قالت في صرامة ، وهي تنهض من مقعدها ، وتتجه إليه :
ـ إنهم حتى لم يحاولوا تفتيشي .
ألصقت المسدس بجبهته ، فهتف في رعب :
ـ ماذا ستفعلين ؟
قالت في شراسة أرعبته :
ـ أين أرسلتم (أدهم) ؟
ارتجف جسده ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، وهو يجيب :
ـ لا يمكنني أن أخبرك .. لن يغفر لي الـ .....
اختطفت فجأة فتاحة الخطابات ، من سطح مكتبه ، وغرست طرفها في عنقه ، وهي تقول في حزم :
ـ إياك أن تصرخ .
شعر بطرف الفتاحة الحاد يغوص في عنقه ، وبالدماء الساخنة تسيل منه ، وراودته رغبة عارمة في البكاء ، من فرط الألم ، وهو يجيب في صوت خافت مضطرب :
لن أفعل .. أقسم لك ألا أفعل .
غاصت بالطرف الحاد في عنقه أكثر ، وهي تقول :
ـ رائع أيها الطفل المطيع .. والآن أين (أدهم) ؟
انهار قائلا :



اختطفت فجأة فتاحة الخطابات ، من سطح مكتبه ، وغرست طرفها في عنقه ، وهي تقول في حزم : ـ إياك أن تصرخ .

فى (تيرور)*.. لقد أرسلناه إلى المقر الرئيسى للمنظمة .. لقد أمر الزعيم بهذا .

قالت فى حدة :

— وماذا سيفعل به الزعيم هناك ؟

قال وهو يكاد يبكى :

— لست أدرى .. أقسم لك إننى أجهل ذلك تمامًا .

أبعدت الطرف الحاد عن عنقه ، وتراجعت عنه ، مغمغمة :

— إننى أصدّقك .

لهث من فرط الانفعال ، وهى تبتعد عنه ، مستطردة :

— الأمر الآن معقد بالفعل يا (كال) ، فلقد قضيت حياتى كلها فى صراع دائم مع (أدهم صبرى) ، كنت أسعى خلاله بكل قدراتى للقضاء عليه ، حتى بعد أن تركت العمل فى (الموساد) ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد انتابنى حزن عجيب ، عندما أعلن الجميع عن مصرعه هنا ، فى (المكسيك).. ولم أستطع تفسير هذا الحزن أبدًا ، وإنما حاولت إقناع نفسى — حينذاك — أنه حزن على أننى لست قاتلته .

(*) راجع أولى مغامرات (أدهم صبرى) مع منظمة (سكوربيون) .. المغامرة رقم (١٣) .. (أرض الأهوال) ..

هدأت أنفاس (كال) قليلًا ، وتسللت يده لتلتقط مسدسه ، وهى تتابع فى هدوء :

— ثم أدركت سر حزنى ، عندما علمت بوجوده على قيد الحياة .. أدركت أننى كنت أحبه .. نعم يا (كال) .. على الرغم من كل صراعاتنا ، كنت أحبه .. هل تصدّق هذا ؟

لم يجب ، وهو يتحسّس مسدسه فى حذر ، فواصلت هى :

— ولقد حقّقت حلم حياتى ، وتزوّجته ، وتضاعف حبى له ، ثم فوجئت بكم تنتزعونه من حياتى .. ولكن ....

ثم التفتت إليه ، مستطردة فى حدة :

— لم يفت الوقت بعد .

صوّبت مسدسها إلى رأسه ، فتخلّى عن مسدسه ، قبل أن يطبق أصابعه على مقبضه ، ورفع ذراعيه عاليًا ، وهو يهتف :

— لا .. لا تفعل .

انعقد حاجباها الجميلان ، وهى تقول فى صرامة :

— إنك تعلم حقيقة شخصيته الآن يا (كال) .. وكذلك يعلمها زعيمك .. ولو ذاع السر فسيستعيد (أدهم) ذاكرته ، ولن يُبقى على زواجنا عندئذ .. ثم إنه هناك خطر آخر ، وهو أن ينجح زعيمك فيما فشل فيه عمالقة العالم ، ويقتل (أدهم صبرى) ، فأفقد أنا الرجل الذى أحببته

رأى (كال) الشر يتقافز من عينيها ، فلوّح بكفيه ، هاتفا :

ــ لن يحدث شيء من هذا .. لن ....

وأخرسته (سونيا) هذه المرة ..

أخرسته برصاصة واحدة ..

واخترقت رصاصتها جمجمته ، ونفذت عبر رأسه ، ومخه ..

وانهارت كل أحلام (كال) وطموحاته دفعة واحدة ..

فقط جحظت عيناه فى شدة ..

ثم سقط رأسه على مكتبه ، وتفجّرت منه نافورة من الدم ..

وفى هدوء ، أعادت (سونيا) مسدّسها إلى جيب سرى فى حزامها ، وغمغمت وهى تلتقط حقيبتها :

ــ الوداع يا (كال) .

وعندما غادرت حجرته ، كانت تحمل على شفتيها ابتسامة جذّابة ، وهى تقول لحارسه الخاص :

ــ رئيسك متعب بعض الشيء ، ويطالبك بعدم إزعاجه ، لنصف ساعة على الأقل .

ابتسم الحارس فى خبث ، وهو يتأمّل جمالها الفتّان ، قائلا :

ــ فليكن .

لم يعترضها أحد ، وهى تغادر المكان كله ، فاستقلّت

سيارتها ، وانطلقت بها نحو المطار الصغير فى (كيواوا) مغمغمة :

ــ لا بأس يا (أدهم) .. سأقاتل مرة أخرى من أجلك

وكان هدفها هو (تيرور) ..

جزيرة الرعب ..

* * *



٧ ــ الرعب ..

استعاد (أدهم) وعيه ، داخل الطائرة الخاصة ، التى تنقله إلى (تيرور) ، وشعر بصداع شديد يكتنف رأسه ، مع صوت المحركات ، ففتح عينيه فى بطء ، وقال فى خفوت :

ــ أين أنا ؟

حاول أن يرفع كفه ، ليتحسس رأسه ، إلا أن يديه كانتا مقيدتين إلى مقعده بأغلال حديدية سميكة ، فقال ساخرًا :

ــ هل انتقلنا إلى عهد العبيد ؟

أجابه قائد الطائرة ، الذى يجلس على قيد متر واحد منه :

ــ ربما تمنيت أن يحدث هذا بالفعل ، بعد أن نبلغ وجهتنا .

حاول (أدهم) أن يعتدل فى مقعده ، على الرغم من قيوده الثقيلة ، وهو يسأله :

ــ وما هى وجهتنا بالضبط ؟.. الجحيم ؟

أطلق الطيار ضحكة قصيرة ، وكأنما راقت له العبارة ، وقال :

ــ من يدرى ؟.. ربما بدا لك الجحيم أفضل من (تيرور) .

(تيرور) ؟!!..

كان للاسم مدلول خاص فى رأس (أدهم) ..

وكان يرتبط بعشرات الأشياء الوحشية ..

أدغال ..

أسماك قاتلة ..

ذئاب ..

وفى تردد ، قال (أدهم) :

ــ أتقصد مقر (سكوربيون) ؟

أطلق الطيار ضحكة قصيرة أخرى ، وقال :

ــ أنت تعرفها إذن !

نعم .. يعرفها ..

جزء من أعماقه يعرف ما الذى تعنيه (تيرور) ..

جزيرة الموت ..

والرعب ..

وعلى الرغم من فقدانه ذاكرته ، كان (أدهم) يدرك ضرورة القتال ، حتى لا يبلغ تلك الجزيرة ..

وفى هدوء ، راح (أدهم) يسعى للتخلص من قيوده ، وأغلاله الحديدية ..

كانت الأغلال مُحْكَمة تمامًا ، ومثبتة فى مسندى المقعد الجانبيين فى قوة ، ولكنَّ قدمى (أدهم) كانتا حرتين ، بلا أغلال ..

وكان الطيار يُطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، للحن أمريكي شهير ، وهو يتجاهل (أدهم) تمامًا ، واثقًا من أن هذا الأخير مقيَّد إلى مقعده على نحو جيِّد ، لا يتيح له الإفلات أبدًا ..

وراحت عينا (أدهم) تراقبان عدادات الطائرة الصغيرة ..

كان الوقود قليلًا ، ولكن باقى الأجهزة كلها يعمل على نحو جيِّد ، والطائرة على ارتفاع ألفى متر عن سطح المحيط ، فسأل (أدهم) الطيَّار فى هدوء :

ــ ألديك وقود احتياطى ؟

هزَّ الطيَّار كتفيه ، وقال دون أن يلتفت إليه :

ــ لا ، ولكننا لن نستنفد كل الوقود ، فلقد وصلنا تقريبًا .

كان هذا يعنى أن الخطر يقترب ..

وأنه من المحتَّم أن يعمل هو فى سرعة ..

ثم برزت الفكرة فى رأسه بغتة ..

وكعادته ، وضع (أدهم) الفكرة موضع التنفيذ ، دون أن يضيع ثانية واحدة ..

وفجأة ، دفع قدميه إلى الأمام ، وأحاط بهما عنق الطيَّار ، الذى بوغت بالحركة ، وهتف :

ــ اللعنة !.. ماذا تفعل يا رجل ؟

جذبه (أدهم) بقدميه فى قوة ، وانتزعه من مقعد القيادة ، دون أن ينطق حرفًا واحدًا ، والطيَّار يحاول التملُّص من قدميه ، صارخًا :

ــ هل جننت يا رجل ؟.. ستسقط بنا الطائرة .

كانت قدما (أدهم) تحيطان بعنقه فى قوة مدهشة ، و (أدهم) يقول ساخرًا :

ــ لا بأس يا رجل .. إننى أفضِّل الموت فى أعماق المحيط ، بدلًا من (تيرور) .

فقدت الطائرة توازنها بالفعل ، وراحت تهوى نحو المحيط ، فصرخ الطيَّار فى عصبية :

ــ حسنًا يا رجل .. أنت أردت هذا .

وانتزع مسدَّسه من غمده ، وهتف :

ــ ستنهى رصاصتى كل شىء .

ولكن قدمى (أدهم) تركتا عنق الطيَّار بغتة ، فسقط هذا الأخير على وجهه أرضًا ، ثم هبَّ واقفًا ، وصرخ :

ـ سأخالف الأوامر أيها الرجل .. وسأقتلك .

ورفع مسدسه فى وجه (أدهم) ..

ولكن ذلك الطيار لم يكن يواجه خصمًا عاديًا ..

كان يواجه رجلا لا يشق له غبار ..

رجل المستحيل ..

وعلى الرغم من يديه الموثقتين ، تحركت قدما (أدهم) ، فركلت إحداهما المسدس من يد الطيار ، وركلت الثانية وجه الطيار نفسه ..

وتراجع الطيار بضع خطوات ، وقد فقد مسدسه ، واثنتين من أسنانه ، فعاد يصرخ فى غضب :

ـ أيها الوغد

واندفع نحو (أدهم) ، الذى استقبله بركلة عنيفة فى معدته ، وثانية كالقنبلة فى وجهه ، دفعت الطيار إلى الخلف ، ليرتطم رأسه بمقعد القيادة ، ثم يطلق شهقة قوية ، ويسقط فاقد الوعى ..

وانحرفت الطائرة أكثر ..

وراحت تهوى نحو المحيط ..

وفجأة ارتطمت بالمياه ، وتحطمت مقدمتها فى دوى عنيف ..



واندفع نحو (أدهم) ، الذى استقبله بركلة عنيفة فى معدته ، وثانية كالقنبلة فى وجهه ، دفعت الطيار إلى الخلف ..

وغاصت الطائرة فى المحيط ، ، وبداخلها (أدهم صبرى) مقيدًا فى مقعده ..

وعاجزًا عن الحركة ..

* * *

تطلّع قائد مطار (كيواوا) الصغير إلى (سونيا) فى شك ، وسألها فى اهتمام :

— هل تجيدين حقًا قيادة الطائرات يا سنيورا ؟

أجابته فى حزم :

— يمكنك أن تختبرنى .

مطّ شفتيه ، وقال :

— لسنا فى حلبة اختبار ، والقواعد هنا تحتّم وجود طيّار رسمى ، فى كل طائرة خاصة ، و .....

قاطعته فى توتر :

— أخبرنى .. هل يمتلك سنيور (كال) طائرة خاصة هنا ؟

تطلّع إليها فى قلق ، فقد كان ذكر اسم (كال) يكفى ؛ ليبذر فى قلبه الشك والتوتر ، ويدفع مزيدًا من الحذرَ إلى نفسه ، ويضاعف من شد أعصابه ، وهو يجيب :

— بالتأكيد يا سيِّدتى .. لماذا تسألين ؟

تجاهلت سؤاله ، وهى تقول :

— هل يمتلئ خزانها بالوقود ؟

أجابها بنفس الحذر :

— سنيور (كال) يطلبها ممتلئة دائمًا يا سنيورا .

ارتفع رنين هاتفه ، وهى تسأله :

— وأين هى ؟

التقط سمّاعة الهاتف ، وهو يقول :

— تلك الحمراء هناك ، ولكن ..

بتر عبارته ، وهو يضع سمّاعة الهاتف على أذنه ، ويقول :

— من المتحدِّث ؟

أدركت طبيعة المحادثة على الفور ، عندما اتسعت عينا الرجل فى رعب ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ويغمغم :

— ماذا ؟!

ثم أضاف وهو ينتفض كعصفور مبتل ، فى ليلة باردة عاصفة :

— نعم .. نعم .. إنها هنا .

وهنا نهضت (سونيا) بحركة حادة ، وانتزعت السمّاعة من يد الرجل ، وأعادتها إلى الهاتف ، وهى تقول فى صرامة :

— نعم .. إنها أنا .

شحب وجه الرجل فى شدة ، عندما انتزعت مسدسها المزوّد بكاتم للصوت ، وصوّبته إليه مستطردة :

— أنا قتلت (كال) .

لوّح الرجل بكفيه فى رعب ، وهو يهتف فى صوت مختنق :

— لا يا سنيورا .. لا .

ولكن (سونيا) أطلقت رصاصتها بلا تردد ..

وسقط رأس الرجل ..

وبكل هدوئها ، أعادت (سونيا) مسدسها إلى حزامها ، وهى تقول :

— يا للأوغاد !

وبدون انتظار ، انطلقت تعدو نحو طائرة (كال) الخاصة ..

وقفزت داخلها فى مهارة ، وعامل الصيانة يصرخ بها .

— ماذا تفعلين يا سنيورا ؟.. إنها طائرة خاصة .

أغلقت باب الطائرة خلفها ، متجاهلة صراخ العامل ، وجلست على مقعد قيادتها ، وتطلّعت إلى عداداتها ، وهى تقول :

— كل شىء على ما يرام .. أراهن أن تلك البطة الصغيرة مجهّزة تمامًا ؛ للسفر إلى (تيورو) .

بدأت فى تشغيل المحرّك ، وعامل الصيانة يلوّح بذراعيه صارخًا ، ولكنها ظلّت على تجاهلها له ، وهى تقول :

— والطائرة مزوّدة بمدفعين رشاشين !.. رائع يا (كال) .. إنك لم تنس شيئًا أبدًا .

وابتسمت فى سخرية ، مستطردة :

— فيما عدا (سونيا جراهام) .

انطلقت بالطائرة على ممر الإقلاع ، وراح عمّال المطار الخاص يركضون فى كل الاتجاهات ، وقد أرعبهم أن تُسرَق طائرة (كال) أمام عيونهم ، وهم عاجزون عن منع سرقتها ، وراحوا يتخيلون فى ذعر ما سيفعله بهم (كال) ، جزاء هذا ، فلم يكن خبر مصرع هذا الأخير قد بلغهم بعد ..

ثم ظهرت سيارة رجال (كال) ، فى نهاية الممر ، وظهر خلفها سيارة أخرى ، واندفعت السيارتان نحو الطائرة ، فعقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول بلا خوف :

— هؤلاء الأوغاد يتحرّكون بسرعة كبيرة بالفعل .

أخرج بعض ركّاب السيارتين مدافعهم ، وصوّبوها إلى الطائرة ، فابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

ــ يا لتفاهة رجالك يا عزيزى الراحل (كال) .

وضغطت زناد مدفعى الطائرة الرشاشين ..

وانهمر وابل من الرصاصات على السيارتين بركّابهما ، فانفجرت إحداهما فى الحال ، وانحرفت الثانية فى عنف ، بعد مصرع قائدها ، فى حين جذبت (سونيا) عجلة القيادة ، هاتفة :

ــ وداعًا أيها الأغبياء .

وارتفعت طائرتها عاليًا ، ورصاصات مدافع من تبقّى حيًّا من رجال (كال) تطاردها ، حتى غابت فى الأفق ..

وانطلقت نحو الهدف ..

* * *

اندفعت المياه الباردة داخل الطائرة ، وهى تغوص فى المحيط ، وجذب (أدهم) قيوده فى قوة ، هاتفًا :

ــ هيا أيها المقعد اللعين .. استسلم أو نلقى حتفنا معًا .

ارتفع منسوب الماء إلى صدره فى سرعة ، وانقبضت عضلات ذراعيه فى قوة ، واحتقن وجهه فى شدة ، وراح مسند المقعد يصدر صريرًا مزعجًا ، كتمته المياه المالحة ، وهى ترتفع عنه ..

وراح الموت يقترب من (أدهم) ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم تحطّم مسند المقعد الأيمن ، وتحرّرت يد (أدهم) اليمنى ..

وبلغت المياه عنقه ، وأنفه ..

ثم احتوته المياه تمامًا ..

وفى بطء ، راحت الطائرة تغوص فى الأعماق ، و (أدهم) يقاتل لانتزاع مسند المقعد الأيسر ..

وكان قتالًا مع الزمن ..

ومع الموت ..

وتضاءل الهواء فى صدر (أدهم) فى سرعة ، وعضلاته تقاتل فى بأس ..

ثم تحطّم مسند المقعد ..

ولم يضع (أدهم) ثانية أخرى ..

لقد دفع جسده نحو الطيّار الفاقد الوعى ، وحمله بين ذراعيه ، على الرغم من قيوده وأغلاله الثقيلة ، واندفع به خارج

الطائرة الغارقة ، وراح يضرب قدميه فى الماء بقوة ، وهو يصعد إلى السطح ..

وبدا سطح الماء بعيدًا .. بعيدًا ..

ثم برز رأس (أدهم) فجأة ..

واستنشق الهواء فى عمق ..

وهتف :

ـ يا إلهى!.. لقد نجوت !

قالها بالعربية ، دون أن ينتبه إلى أنه قد فعل ، ثم راح يفحص الطيّار فى سرعة ، وأضاف :

ـ إنه حى .. يا له من وغد حسن الحظ !!.. ولكنه يحتاج إلى إسعاف سريع .

أتاه صوت يبعد مترًا واحدًا عن أذنيه ، يقول فى هدوء :

ـ اترك لنا هذه المهمة .

التفت بسرعة إلى مصدر الصوت ، وتبيّن على الفور ذلك الزورق الأسود ، الذى أخفاه لونه القاتم وسط الظلام ، حتى أنه لم ينتبه فى البداية إلى صعوده على مقربة منه ..

وتبيّن ذلك المدفع الآلى المصوّب إليه ، فابتسم قائلًا فى سخرية :

ـ مرحبًا .. أأنتم لجنة الاستقبال ؟

أجابه صاحب المدفع فى برود :

ـ نعم .. هو نحن .. لقد التقطنا مشهد سقوط الطائرة ، على شاشات الرادار فى (تيرور) ، ولقد سقطت على بعد كيلومتر واحد من الجزيرة ، فأسرعنا إلى هنا لانتشالك .

قالها ورجاله يلتقطون جسد الطيّار ، ويضعونه داخل الزورق ، ثم استطرد الرجل ، وهو يبتسم ساخرًا :

ـ فالزعيم يصرّ على إحضارك حيًّا .

تركهم (أدهم) يرفعونه إلى سطح الزورق ، وهو يقول :

ـ لطيف هو زعيمكم هذا .. أراهن أنه يهوى قرض الشعر .. أليس كذلك ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

ـ بل يهوى الصيد يا رجل .. لسوء حظك .

لم يفهم (أدهم) معنى الجزء الأخير من العبارة ، حتى أضاف الرجل شامتًا ساخرًا :

ـ ولقد عثر على فريسته التالية ..

وهنا فهم (أدهم) ماذا ينتظره من متاعب ..

ومن رعب ..

* * *

٨ ــ عملية صيد ..

داعبت (منى) جفنيها بأصابعها ، فى محاولة لمقاومة إرهاقها الشديد ، وهى تتطلع إلى (أدهم) ، قائلة :

ــ يبدو أن حياتك لم تختلف كثيرًا ، وأنت فاقد الذاكرة ، فها أنتذا تذهب إلى (تيرور) ، وتقاتل (سكوربيون) ، كما لو أنك مازلت تعمل فى صفوف المخابرات المصرية .

ابتسم وهو يقول :

ــ يبدو أن جسدى قد اعتاد هذا النوع من الحياة ، الذى لا يصدّق الجزء الأعظم من الناس وجوده .

قالت مبتسمة فى تهالك :

ــ كل إنسان يحصر خياله فيما حوله ، ومن المستحيل ، بالنسبة لمواطن عادى ، أن يتخيّل وجود عالم كعالمنا ، يكون فيه إطلاق النار أسهل من إشعال مصباح ضوئى عادى .

تطلّع إليها فى عطف وإشفاق ، ونهض قائلاً :

ــ أظنك تحتاجين إلى بعض النوم .. سأتركك الآن ، وأعود فيما بعد ، و ....

هتفت تقاطعه :

ــ لا .. لا تذهب .

وأضافت مبتسمة :

ــ سيقتلنى الفضول ، لو أنك لم تواصل قصتك الآن .

قال فى حنان :

ــ ولكنك تبدين شديدة الإرهاق ، ولقد قضينا نصف الوقت تقريبًا ، فى رواية قصتى ، ومازالت هناك أحداث عديدة ، والفجر على وشك البزوغ ، و .....

قاطعته مرة أخرى فى خفة :

ــ مطلقًا .

ثم نهضت مستطردة :

ــ سأعدّ لنا فنجانين من القهوة ، لتساعدنا على المواصلة .. فلن تغادر هذا المكان ، قبل أن تروى لى قصتك كلها .

ابتسم مغمغمًا ، وهو يعاود الجلوس :

ــ لا بأس .

غادرت الحجرة ، لتعدّ فنجانى القهوة ، وتابعها هو ببصره فى حب ، حتى ابتعدت ، ثم شرد ببصره لحظة ، والتقط من

جيبه صورة صغيرة ، تطلّع إليها فى صمت ، وأعادها إلى جيبه ، وتنهّد قائلًا :

يا للقدر !

واسترخى فى مقعده ، وراحت ذاكرته تسبح به عائدة إلى تلك الأيام ..

أيام (تيرور) ..

* * *

لم يقاوم (أدهم) رجال (سكوربيون) ، وهم ينطلقون به داخل زورقهم إلى (تيرور) ، لأكثر من سبب ..

لقد كان مرهقًا منهكًا للغاية ، بعد صراعه مع الطيّار ، ومقاومته للغرق داخل الطائرة المحطّمة ، و كانت عضلاته كلها مرهقة متوترة ..

ثم إن فضوله قد غلب قلقه من (تيرور) هذه المرة ..

ولقد بدت له (تيرور) مألوفة ، والزورق يجتاز حاجزًا سلكيًا خاصًا يحيط بها ، ثم يواصل طريقه نحو شاطئها ..

وكانت فى استقباله فرقة كاملة من رجال (سكوربيون) ، صوّب الجميع فيها مدافعهم الآلية إليه ، وقد أحاطوه بدائرة كاملة منهم ، فى مشهد جعله يقول فى سخرية :

— إنكم تملئوننى زهوًا بموقفكم هذا .. هل أمثّل لكم كل هذه الخطورة ؟

لم يجب أحدهم بحرف واحد ، واستمرّ موكبهم العجيب يقوده إلى داخل قصر كبير ، يتوسّط الجزيرة تمامًا ، ويبدو أشبه بقلعة من قلاع العصور الوسطى ، وقاده بعض المسلحين إلى قاعة كبيرة ، بدت له مألوفة ، بذلك المقعد الشبيه بالعروش القديمة ، فى مواجهة بابها ، وحوض السباحة فى منتصفها ..

واستعاد ذهن (أدهم) مشهدًا قديمًا ..

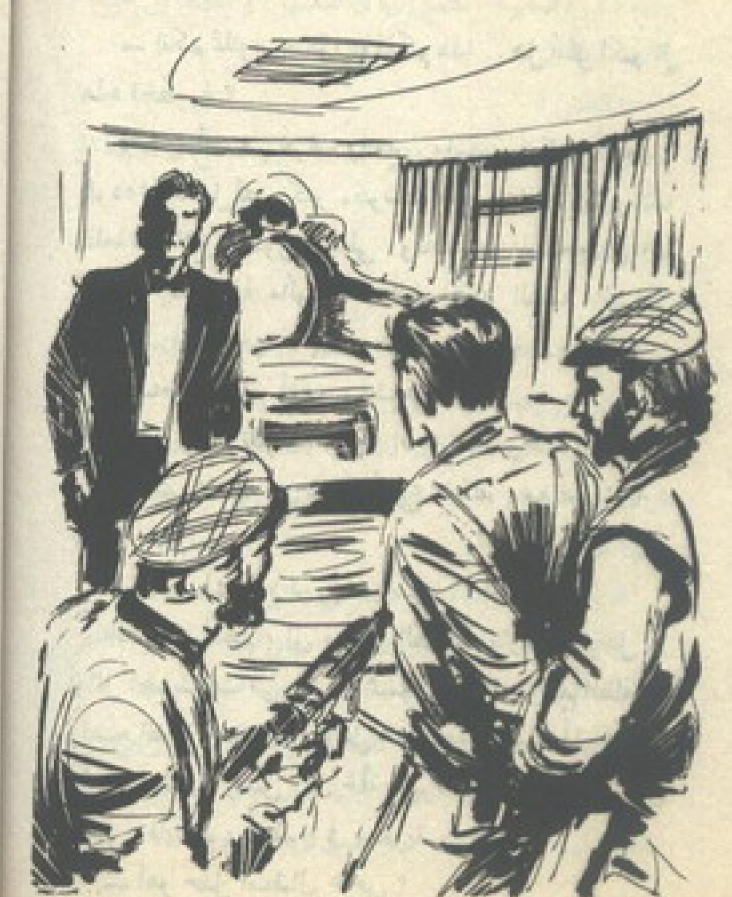
مشهد رجل تلتهمه أسماك (البيرانا) المتوحّشة ..

وتلاشى المشهد من ذهنه بأسرع مما وُلد ، مع صوت بارد عميق ، يقول :

— أهلًا بك فى (تيرور) يا سنيور (أمبجو) .

التفت (أدهم) إلى مصدر الصوت ، وطالعه رجل فى أوائل الخمسينات من عمره ، ممشوق القوام ، وسيم الطلعة ، واضح القوة ، شاب فوداه على نحو منحه مظهرًا أنيقًا ووقورًا ، وقد بدا شديد التألّق ، فى حُلّة سهرة سوداء ، ورباط عنق صغير ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— أهو حفل استقبال خاص ؟



وتلاشى المشهد فى ذهنه بأسرع مما وُلِد ، مع صوت بارد عميق ، يقول : — أهلاً بك فى (تورو) ..

ابتسم الرجل ، وقال :

— نعم .. هو كذلك .

وجلس فوق المقعد ، وهو يسأل (أدهم) فى هدوء :

— إنك تفضّل التعامل باسم (أميجو) .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— ماذا تفضّل أنت ؟.. هل تحب أن أحمل اسم (الكمّاشة) ، وأمنحك أنت اسم (المسمار) ؟

مطّ الرجل شفتيه ، وهو يقول :

— لا .. لست أحب هذا .

ثم مال إلى الأمام ، وقال :

— هل تحب رياضة الصيد يا (أميجو) ؟

قال (أدهم) ساخرًا :

— كنت أظننى قد نسيتها ، ولكننى لم أكد أراك حتى استعدت حنينى لها ، فلقد كنت أهوى صيد الفئران .

تراجع الرجل مرة أخرى فى مقعده ، وقال فى برود :

— لم تفارقك روح الدعابة فى الأزمات كالمعتاد .. هذا رائع .

ولوّح بكفيه ، مستطردًا :

— الواقع أننى أختلف عنك كثيرًا ياسنيور (أميجو) ، فأنا أهوى صيد الطرائد الكبيرة ، كالأسود والنمور .. ولكن النمور أفضل بالتأكيد ؛ لأن طبيعتها الخبيثة الحذرة تجعل عملية الصيد أكثر متعة .

قال (أدهم) :

— وماذا لو انقضّ عليك نمر ذات مرة ، من فوق إحدى الأشجار ، وأنشب مخالبه فى عنقك ؟

ابتسم الرجل وقال :

— لم يحدث هذا أبدًا .

قال (أدهم) ساخرًا :

— هناك بداية لكل شىء .

أجابه الرجل فى برود :

— ربّما .

ثم انتقل بالحديث بغتة إلى نقطة أخرى ، قائلًا :

— كيف هزمت الطيّار ، وأنت موثق إلى مقعدك ؟

أجابه (أدهم) متهكّمًا :

— ألا تعلم أننى ساحر بارع ؟!.. لقد هتفت (جلا جلا) و (هوكس بوكس) ، فارتفع الطيّار من مقعده ، وانضرب بالأرض ، وتحوّل إلى أرنب أبيض صغير .

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

— يا للسخافة !!.. لم ترق لى دعابتك أبدًا هذه المرة .

ثم أشار إلى أحد رجاله ، الذين يصوّبون مدافعهم إلى (أدهم) من كل صوب ، وقال :

— أحضروا الطيّار .

غادر الرجل المكان فى سرعة ؛ لتنفيذ الأمر ، فى حين سأل (أدهم) الزعيم فى سخرية :

— وماذا تستخدم فى حملات صيدك أيها الهمام .. مقلاعًا ؟

لم يجب الرجل ، وإنما رمق (أدهم) بنظرة طويلة باردة ، وقال :

— وماذا يمكن أن تستخدم أنت ، عندما تواجه نمرًا ؟

قال (أدهم) مستفزًا .

خنجرًا صغيرًا على الأكثر .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على طرف شفتى الرجل ، وهو يقول :

— حقًا ؟!

استفزت ابتسامة الساخرة (أدهم) ، فهمّ يقول شىء ما ، لولا أن عاد رجل (سكوربيون) ، وهو يدفع أمامه الطيّار ،

الذى بدا الرعب فى محياه ، ولم يكد يلمح (أدهم) ، حتى اندفع نحوه هاتفًا :

ـــ ماذا فعلت بى أيها الـ ... ؟

أمسك به رجال (سكوربيون) ، ومنعوه من بلوغ (أدهم) ، وقال له الزعيم فى صرامة :

ـــ لقد أخطأت بالسماح لـ (أميجو) بهزيمتك .

هتف الطيّار :

ـــ إنه ليس رجلًا عاديًا يا مستر (هنتر) .. إنه شيطان .. شيطان حقيقى .

قال (هنتر) فى صوت مخيف :

ـــ حتى الشياطين لا يحق لها هزيمة رجل من (سكوربيون) .

شعر (أدهم) بشفقة حقيقية تجاه الطيّار ، الذى راح يرتجف فى رعب هائل ، فتدخل قائلًا :

ـــ الرجل لم يخطئ فى الواقع .. لقد باغتته أنا ، و .....

قاطعه الزعيم (هنتر) فى صرامة :

ـــ لا تتدخل يا (أميجو) .. لم يحن دورك بعد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ لم يحن دورى ؟!.. ماذا تظن نفسك يا رجل ؟.. مخرج شهير لمسرحية هزلية ؟!

رمقه (هنتر) بنظرة باردة ، ثم أدار عينيه إلى الطيّار ، وقال فى حزم :

ـــ إنك لم تعد تنتمى إلى (سكوربيون) .

صرخ الطيّار فى هلع :

ـــ لا .. أرجوك .

أشار (هنتر) إلى رجاله ، وهو يقول فى قسوة :

ـــ أنت تعلم القانون .. لا يحيا على أرض (تيرور) إلا من ينتمون إلى (سكوربيون) .

راح الطيّار يصرخ فى رعب هائل ، والرجال يدفعونه نحو حوض الاستحمام :

ـــ لا .. ليس الأسماك .. ليس الأسماك .

ولكن الرجال دفعوه داخل الحوض ..

وهنا تحرّك (أدهم) ..

لم يحتمل أن يقف ساكنًا ، وهم يلقون الرجل داخل الحوض ..

كان قد شاهد شيئًا مماثلًا حتمًا ، ولكنه لا يذكر متى وأين ؟..

وبكل خفته ، وبحركة مباغتة غير متوقعة ، قفز (أدهم) نحو الحوض ، وامتدت يده تمسك بياقة الطيار ، ثم جذبه خارج الحوض بقوة فولاذية ..

وشهق رجال (سكوربيون) فى دهشة ..

ولم يصدق الطيار ، أنه لم يسقط فى الحوض ، فراح ينقل بصره بين وجه (أدهم) ، والأسماك السابحة فى الحوض ، وقد شحب وجهه ، واعتراه ذهول عجيب ، فى حين قال (هنتر) فى غضب :

ـ هل تتحدى أوامرى يا (أميجو) ؟

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ وهل يصنع ذلك فارقًا ، بالنسبة لمصيرى ؟

ران الصمت لحظة ، ثم قال (هنتر) :

ـ لا .

همّ رجاله بالانقضاض على (أدهم) ، ودفع الطيار مرة ثانية فى الحوض ، لولا أن أشار إليهم (هنتر) بالتوقف ، ثم مال إلى الأمام ، واستند بمرفقه إلى مسند مقعده ، وسأل (أدهم) :

ـ هل تهمك حياة الطيار إلى هذا الحد ؟

أجابه (أدهم) فى قوة :

ـ كل روح بشرية تهمّنى .

ابتسم (هنتر) ، وقال ساخرًا :

ـ حقًا ؟!

اندفع (أدهم) يقول فى لهجة استفزازية :

ـ ألا تملك سوى هذه الكلمة ؟

صمت (هنتر) لحظات ، وهو يتطلع إليه ، ثم قال فى بطء بارد :

ـ بل أملك الكثير غيرها يا (أميجو) .

وتراجع فى مقعده مرة أخرى ، وهو يضيف :

ـ قل لى يا (أميجو) : هل أنت ممن يحترمون كلمتهم ؟

قال (أدهم) حازمًا :

ـ بالطبع .

هز رأسه فى تفهم ، ثم قال :

ـ فليكن .. سنختبر هذا .

وأشار إليه ، مستطردًا :

ـ اتجه إلى ذلك المربع هناك يا (أميجو) .

كان الأمر يشبه التحدى ؛ لذا فقد اتجه (أدهم) إلى

المربّع ، ووقف فوقه شامخًا ، معتدل القامة ، فابتسم (هنتر) ، وقال :

— امنحوه خنجرًا صغيرًا .

أسرع أحد الرجال يناول (أدهم) خنجرًا صغيرًا ، التقطه (أدهم) فى قبضته ، والتفت إلى (هنتر) ، قائلًا فى سخرية :

— هل سيدهشك أن ألقى الخنجر على عنقك بغتة ؟

هزَّ (هنتر) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا .. لن يدهشنى ذلك قط .

ثم ابتسم ، وأضاف :

— ولكن الأفضل أن تحتفظ بالخنجر ، فستحتاج إليه حتمًا .

قال (أدهم) :

— لأنتزع لسانك من قاعدته ؟

أجابه (هنتر) ، بنفس ابتسامته :

— بل لتدافع عن حياتك .

ثم ضغط زرًّا فى مقعده ، فانفتح المربّع تحت قدمى (أدهم) ..

وسقط (أدهم) ..

سقط داخل حجرة صغيرة ، ترتفع جدرانها أربعة أمتار كاملة ..

وعندما اعتدل واقفًا ، كان قد أدرك ما يعدّه له (هنتر) ..

ومن أعلى الحجرة ، سمع صوت (هنتر) يقول ساخرًا :

— هاأنتذا تملك الخنجر .. أرنا كيف ستواجه به النمر يا سنيور (أميجو) .

اقترن صوته بزئير ذلك النمر الضخم ، الذى يشارك (أدهم) حجرته الواسعة ، ذات الجدران المرتفعة ، والذى هبَّ واقفًا ، وتحفَّز للوثب على فريسته ، التى لا تملك فى مواجهته سوى خنجر صغير ..

وإرادة من فولاذ ..

وسمع (أدهم) (هنتر) يطلق ضحكة قصيرة ، ويستطرد :

— سيكون مشهدًا رائعًا بالتأكيد .

ومع آخر حروف كلماته وثب النمر ..

وحانت لحظة الاختبار ..

* * *

٩ — الرجل .. والنمر ..

انعقد حاجبا (سونيا) ، وهى تقود طائرتها فوق المحيط الأطلنطى ، فى طريقها إلى (تيرور) ، وقالت فى ضيق :

— الوقود يتناقص بأسرع مما ينبغى ، فلقد شارف النفاد ، ولم أبلغ نصف المسافة بعد .

زفرت فى غضب ، واستطردت :

— لا ريب أن إحدى رصاصات أوغاد (كال) قد أصابت خزان الوقود .

راحت الطائرة تصدر أصواتًا مزعجة ، وتترنح فى طيرانها ، فأضافت فى حنق :

— بل عدة رصاصات حتمًا .

انخفضت الطائرة ، بعد أن توقَّفت محركاتها ، وراحت تنزلق على الهواء كطائرة ورقية ، حتى اقتربت من سطح المحيط ، فتمتمت :

— من حسن الحظ أن البطة العجوز هذه من النوع البرمائى ، ذى الزحافات ، وإلا لغرقت على الفور .

لامست زحافات الطائرة سطح المحيط ، وانزلقت عليه فى نعومة ، حتى توقَّفت تمامًا ، فتنهَّدت (سونيا) ، وقالت :

— يا للسخافة !.. هل تنتهى رحلتى هنا ؟

أصابها الغيظ والحنق ؛ لأنها اضطرَّت للتوقُّف على هذا النحو ، وقالت فى ضيق :

— هل كُتِبَ لنا أن نفترق بعد أن التقينا يا (أدهم) ؟

أحنقتها الفكرة ، فصرخت :

— لا .. لن أفقدك أبدًا .

أعملت عقلها ، بحثًا عن حل ، وراحت تدير بصرها فى الطائرة ، حتى توقَّفت عيناها عند جهاز اللاسلكى ، فعقدت حاجبيها ، وقالت :

— نعم .. قد تفلح هذه الوسيلة .

والتقطت مسماع جهاز اللاسلكى ، وهى تستطرد :

— هيا يا (سونيا) .. تذكَّرى رقم موجة (تيرور) السرية .. هيا .. اعتصرى كل خلايا مخك .

أدارت مؤشِّر اللاسلكى ، حتى أوقفته عند رقم صغير ، ثم ضغطت زر الاتصال ، وهى تقول :

— من (موساد — ٧) إلى (تيرور) .. أجب .

وكانت خطتها هذه المرة جريئة ..

وخطيرة ..

* * *

كان (أدهم) يواجه النمر داخل حجرة بلا منافذ ، إلا سقفها المرتفع ..

وكان النمر جائعًا ، ضخمًا .. شرسًا ..

و (هنتر) يراقب المشهد فى اهتمام شديد ..

وشعر (أدهم) أنه قد شاهد هذا الموقف من قبل ..

أو عاشه(*) ..

ولكنه لم يتوقف ليسأل نفسه متى ؟ وكيف ؟.

ولم يمنحه النمر الفرصة ليفعل ..

لقد أطلق زئيرًا مفزعًا ..

ووثب ..

وفى رشاقة مدهشة مذهلة ، قفز (أدهم) جانبًا ، متفاديًا انقضاضة النمر ، ثم دار حول النمر ، إلى الجانب الآخر للحجرة ..

(*) راجع قصة (الهدف القاتل) .. المغامرة رقم (٤٢) .

واستدار النمر يواجه (أدهم) ، وزأر فى غضب ، ثم راح يقترب من فريسته فى بطء وحذر ..

والتقت عينا النمر بعينى (أدهم) ..

وارتجف النمر ..

وتراجع ..

ثم استجمع شجاعته بزئير قوى ، و (أدهم) يقول :

ـ لا تغتر بضخامتك أيها النمر .. إننى أكره أن أطعنك بخنجر ذلك الوغد .

ولكن النمر وثب نحوه مرة أخرى ، وضربه بمخالبه القوية ..

وقفز (أدهم) جانبًا ، ولكن مخالب النمر مزّقت قميصه ، وخدشت صدره القوى هذه المرة ..

وأسالت دمه ..

وبرقت عينا النمر فى وحشية ، عندما اشتمّ رائحة الدم ، وزمجر فى غضب شرس ، ثم وثب نحو (أدهم) ..

وفى هذه المرة ، لم يكن النمر مستعدًا لفقدان فريسته ..

لقد أعماه الجوع ..

وألهبته رائحة الدم ..

وفى تلك المرة أيضًا ، كان أسلوب (أدهم) مختلفًا ..

ومدهشًا ..

لقد انزلق أرضًا ، وترك النمر يثب فوقه ، ويتجاوزه ، ثم اندفع خلفه فى لمح البصر ، واستدار ، وقفز على ظهر النمر ، الذى أصيب بالجنون والغضب ، عندما أحاط (أدهم) عنقه بذراعيه ، فأطلق زمجرة عالية ، وحاول أن ينقلب على ظهره ليسحق (أدهم) تحته ..

وغاص خنجر (أدهم) فى عنق النمر ..

وزأر النمر ، وراح يدور حول نفسه ، و (أدهم) يطعنه .. ويطعنه ..

وتفجَّرت الدماء من عنق النمر ..

وعقد (هنتر) حاجبيه ، وهو يراقب ذلك المشهد المثير ، حتى سقط النمر صريعًا ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ، ونهض (أدهم) يلهث ، والخنجر الدامى فى قبضته ، فاعتدل (هنتر) ، وهمس :

ــ مستحيل !

ثم أشار إلى رجاله ، آمرًا :

ــ ارفعوه إلى هنا .

ألقى الرجال سلَّمًا من الحبال إلى (أدهم) ، الذى صعده فى مرونة ، حتى بلغ القاعة ، وقال :

ــ ما رأيك يا ملك الصيد ؟

جلس (هنتر) على مقعده ، وقال :

ــ لقد أدهشنى ما فعلته بالفعل يا (أميجو) ، ولكن ما حدث لم يدفع فى عقلى بالنتيجة التى تتصوَّرها ، بل بنتيجة مخالفة تمامًا .

سأله (أدهم) :

ــ مثل ماذا ؟

قال (هنتر) فى برود :

ــ ستعلم فيما بعد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ لو كان هناك ما بعد .

وبحركة سريعة ، ألقى الخنجر الصغير نحو (هنتر) ..

وتوتر رجال (سكوربيون) ..

ولكن (هنتر) تحرَّك بسرعة أيضًا ..

لقد انتزع مسدَّسه بسرعة البرق ، وأطلق منه رصاصة نحو الخنجر الطائر ، أصابته فى نصله تمامًا ، وألقته فى ركن القاعة ، وهمَّ رجاله بالانقضاض على (أدهم) ، ولكن (هنتر) صاح بهم فى صرامة :

ـ ليس الآن .
ثم التفت إلى (أدهم) ، واستطرد :
ـ إنه لم يكن يصوِّب خنجره إليّ .
عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال :
ـ هذا صحيح .. كنت أصوِّبه إلى مسند المقعد ، ولكن هذا لا يلغى مهارتك المدهشة فى إطلاق النار .
ابتسم (هنتر) ، وقال :
ـ إنها لا توازى مهارتك الأسطورية بالطبع .
كانت هذه إشارة جديدة إلى ماضى (أدهم) .. إشارة أيقظت جزءًا مبهمًا من عقله ..
واسترجع ذهنه مشهد قاعة كبيرة ..
ورصاصات يطلقها هو على أهداف متحرِّكة ..
ثم تلاشت الصورة ، مع صوت (هنتر) ، وهو يقول :
ـ لقد أثبت لى ذلك الصراع أنك أكثر قوة وذكاءً من النمر .
قال (أدهم) ساخرًا :
ـ حقًا ؟
أشار إليه (هنتر) ، وقال :
ـ أرأيت يا (أميجو) .. هاأنذا تستخدم كلمتى نفسها .

ثم أضاف ، وهو يشير إلى نقطة أخرى خلف (أدهم) :
ـ انظر يا (أميجو) .. هذا هو مصير الخاسر .
التفت (أدهم) إلى حيث يشير (هنتر) ، ورأى رجال (سكوربيون) يحملون النمر الصريع ، ويتجهون به إلى حوض الاستحمام ، ثم يلقونه فى أعماقه ..
واندفعت عشرات الأسماك الصغيرة نحو جثة النمر ، وبدا وكأن مياه الحوض تغلى وتفور ، وتصطبغ بدماء النمر ، وشحب وجه الطيَّار فى شدة ، وهو يتصوَّر نفسه فى موضع النمر ، كما كان سيحدث ، حتى هدأ فوران الماء ، وتراجعت الأسماك الصغيرة ، وتركت خلفها الهيكل العظمى للنمر فقط ..
وابتسم (هنتر) ، وهو يقول :
ـ ما رأيك يا (أميجو) ؟
التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
ـ لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها .
عقد (هنتر) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ من أين أتيت بهذا المثل ؟
شعر (أدهم) بالحيرة أمام السؤال ..
ـ من أين أتى حقًا بهذا المثل ؟ ..

وكيف ؟..

ـــ إنه لا يبدو مألوفًا ، وهو يقوله بالإنجليزية ..

ولا حتى عندما ترجمه فى عقله إلى الإيطالية والعبرية والفرنسية والألمانية ..

وفجأة وجد لغة مناسبة تمامًا للمثل ..

اللغة العربية ..

وكم أدهشه هذا !..

بل كم أدهشه كل هذا الكم من اللغات ، التى يجيدها إجادة تامة ، حتى ليحار فى البحث عن لغته الأصلية بينها ..

ولكنه فى هذه المرة شعر بالارتياح والألفة ، مع تلك اللغة ..

شعر بالانتماء ..

وفى أعماقه صرخت غريزته تنبهه ..

أنت عربى ..

نعم .. أنت فارس عربى ..

كان من الممكن أن يستعيد ذاكرته عند هذه النقطة ، لولا أن انتزعه صوت (هنتر) من أفكاره ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. دعنا من هذا المثل ، ولنتطرّق إلى الموضوع مباشرةً .

سأله (أدهم) فى شرود :

ـــ أى موضوع ؟

ثم نفض عنه شروده ، واستدرك ساخرًا :

ـــ هل تطلب قرضًا ؟

فتح (هنتر) شفتيه ، ليقول شيئًا ما ، ولكن أحد رجاله دلف إلى القاعة فى نفس اللحظة ، وقال :

ـــ هناك رسالة أيها الزعيم .

سأله (هنتر) فى اهتمام :

ـــ ما هى ؟

أسرع إليه الرجل ، يناوله ورقة صغيرة ، قرأها (هنتر) فى اهتمام ، ثم قال :

ـــ لا بأس .. أرسل زورقًا لالتقاطها .

ثم التفت إلى (أدهم) ، واستطرد دون الإشارة إلى الرسالة :

ـــ الأمر لا صلة له بالقروض يا سنيور (أميجو) ـــ إنها لعبة صيد .

قال (أدهم) فى برود ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

هات ما لديك .

لوّح (هنتر) بكفه ، وقال :

ــ الأمر بسيط للغاية يا سنيور (أميجو) .. فى كل عملية صيد ، يكون هناك صيّاد وطريدة ، وأنا رجل أهوى الصيد ، وأبحث دومًا عن طريدة مناسبة ، تجعل عملية الصيد ممتعة ، ولقد وقع اختيارى فى الآونة الأخيرة على النمور ، قبل أن تمنحنى أنت فكرة رائعة .

وابتسم فى تلذذ ، مستطردًا :

ــ أن تكون الطريدة أقوى من النمر .. مثلك يا سنيور (أميجو) .

وفهم (أدهم) ما يعنيه (هنتر) ..

وأدرك أنه هو نفسه الطريدة الجديدة ..

* * *

توقّف زورق بحارى كبير ، إلى جوار طائرة (كال) البرمائية ، التى جلست داخلها (سونيا) ، وأطلّ منه رجل ضخم الجثة ، أجش الصوت ، تطلّع إلى (سونيا) بجمالها وسحرها ، وقال فى دهشة :

ــ أأنت (موساد ــ ٧) ؟

أجابته فى هدوء :

ــ ألا يناسبنى اللقب أيها الضخم ؟

ابتسم قائلًا :

ــ أنت تستحقين فى الواقع لقب (فاتنة ــ ١) .

مطّت شفتيها ، مغمغمة :

ــ غزل سخيف .

ثم غادرت مقعدها ، وهى تسأله :

ــ كم رجلًا فى هذا الزورق ؟

مدّ يده ، ليعاونها على الانتقال إلى الزورق ، وهو يقول :

ــ وفيم يهمك هذا ؟

تجاهلت يده الممدودة ، وقفزت فى رشاقة من الطائرة إلى سطح الزورق ، وقالت :

ــ هل يخيفك أن تخبرنى ؟

قهقه ضاحكًا ، وقال :

ــ مطلقًا ، إننا ثلاثة رجال فحسب .

أدارت عينيها فى المكان بسرعة ، ورأت الرجل الذى يقف أمام الدفّة ، والآخر الذى يقف على سطح الزورق من الناحية الأخرى ، ويتطلّع إليها مفتونًا ، والضخم يسألها :

ــ لماذا تسألين ؟

قالت فى هدوء :

ـــ لأرى ما إذا كانت رصاصات مسدسى ستكفيكم أم لا !

قهقه ضاحكًا ، وقال :

ـــ رصاصات مسدسك ؟!

جحظت عيناه فى رعب وألم وذهول ، عندما اخترقت حلقه المفتوح رصاصة من رصاصات مسدسها ، وانقلب فى الماء جثة هامدة ، دون أن ينطق حرفًا واحدًا ، وأسرع زميلاه يلتقطان مسدسيهما ، ولكن (سونيا) التفتت إليهما فى سرعة ، وأطلقت رصاصة على قلب الأوّل ، وأخرى فى منتصف جبهة الثانى ..

وبكل هدوء ، دفعت أحد الرجلين إلى الماء بقدمها ، وأزاحت الثانى عن الدفة ، ثم أدارت محرّك الزورق ، وقالت :

ـــ هكذا تدخل (تيرور) من أوسع أبوابها .

وانطلقت نحو جزيرة الرعب ..

* * *

تسلّل أوّل خيوط الفجر من الأفق ، وانعكس ضوء الشفق على مياه المحيط ، و (هنتر) يقف فوق أعلى تلال (تيرور) ، ويشير إلى أحراشها الممتدّة أمامه ، وهو يقول لـ (أدهم) :

ـــ هل تروق لك ساحة الصيد ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

ـــ أنت وغد يا (هنتر) .

ابتسم (هنتر) فى سخرية ، وقال :

ـــ لن يفيدك هذا فى لعبة الصيد يا (أميجو) .

ثم أضاف وهو يرفع بندقيته ذات المنظار المقرّب فوق كتفه :

ـــ لن تحصل على أية أسلحة يا (أميجو) ، فالطريدة لا تحمل أسلحة ، وسنمنحك ساعة كاملة ، قبل أن أنطلق خلفك ، مع كلاب الصيد ، وأمامك الجزيرة كلها ، يمكنك أن تذهب إلى أى مكان فيها ، ولكن حاول ألا تقترب من البحر ، فالمنطقة المحيطة بنا كلها تزخر بأسماك البيرانا ، التى رأيتها تلتهم جثة النمر فى لحظات ، وحاول أيضًا ألا تعود إلى القلعة ، فسيقتل رجالى كل من يقترب منها بلا رحمة .

واعتدل وهو يستطرد فى حدة :

ـــ والآن هيا .. انطلق .

كانت هناك عشرات البنادق الآلية مصوّبة إلى صدر (أدهم) ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع أو العناد ..

واخترق (أدهم) أحراش (تيرور) الغامضة ..
وبدأت أغرب عملية صيد في التاريخ ..
صيد البشر ..

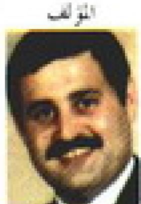
***

[انتهى الجزء الثالث بحمد الله ، ويليه الجزء الرابع]

[جزيرة الجحيم]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



معركة القمة

- هل ينجو (أدهم) من الفخ القاتل ، الذى أعدَّه له (كال) ؟
- كيف يمكن أن تقاتل (سونيا جراهام) في صف (أدهم) هذه المرَّة ؟
- تُرى .. من يربح القتال هذه المرَّة ؟.. ومن يفوز في (معركة القمة) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (رجل المستحيل) ..



الثمن في مصر [illegible]

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية

العدد القادم : جزيرة الجحيم